الجمـــــهورية الجزائـــريـــــة الديمـــقراطـــية الشعـــــبية

وزارة التعـليم العالـــــي و البـحث العلـــمي

جامـــعة الدكـــتور مـــولاي طاهـر سعيدة

كلية الآداب و اللغات و الفنون

لنيل شهادة الليسانس

تخصص: دراسات أدبية

عنوان المذكرة

مفهوم الإحياء الشعري في المغرب العربي الأمير عبد القادر "أنموذجا"

المذكرة من إعداد الطالبتين:

- أرزاق نور الهدى
- جبار حياة

من إشراف الأستاذ:

مجاهد تامي

السـنة الجـامعـــــية 2016 / 2017

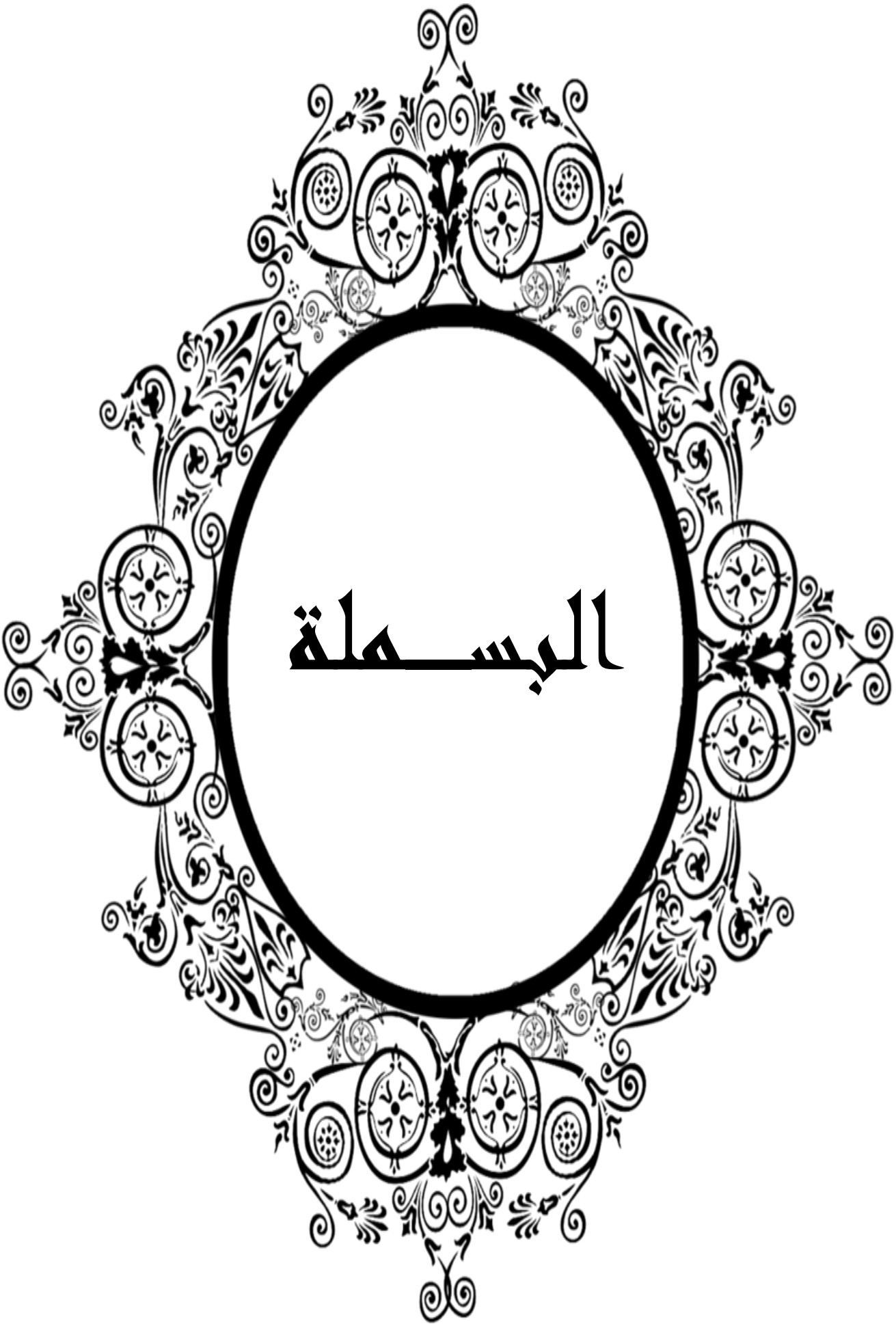
البســـملة

بسم الله الرحمن الرحيم
السلامة عليكم ورحمة الله وبركاته

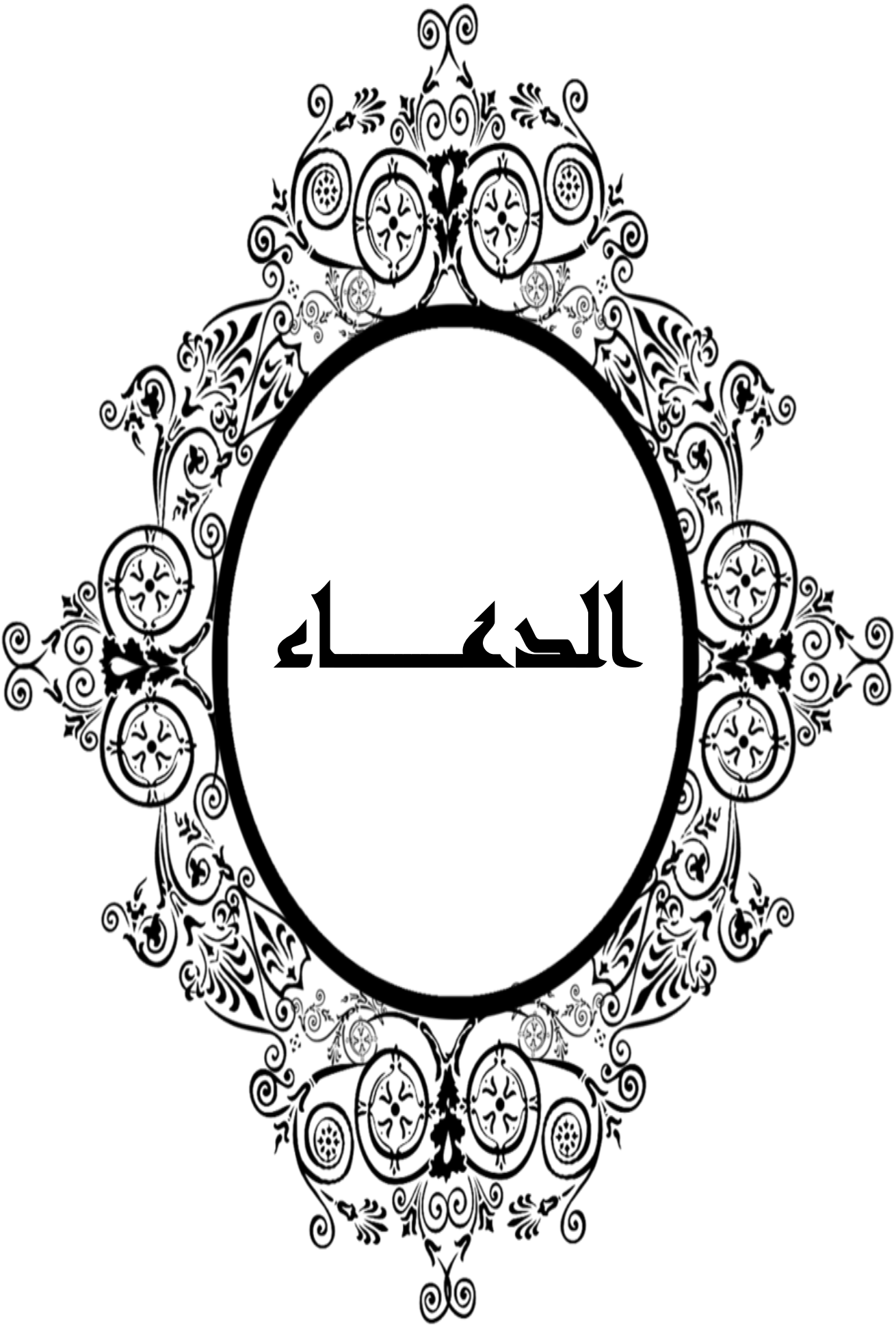
الدعـــاء

الدعـــــــــــــــــــــاء

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم

اللهم آت أنفسنا تقواها و زكها أنت خير من زكاها أنت وليها و مولاها.

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع و قلب لا يخشع و نفس لا تشفع و دعوة لا تستجاب.

اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت و شر ما أعلم.

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك و تحول عافيتك و فاجعة نقمتك و جميع سخطك.

اللهم أهدنا بنعمتك و رغبنا بحلالك عن حرامك

اللهم لك الحمد و لك الشكر إنك أنت العزيز العليم.

أمـــــــــــــين

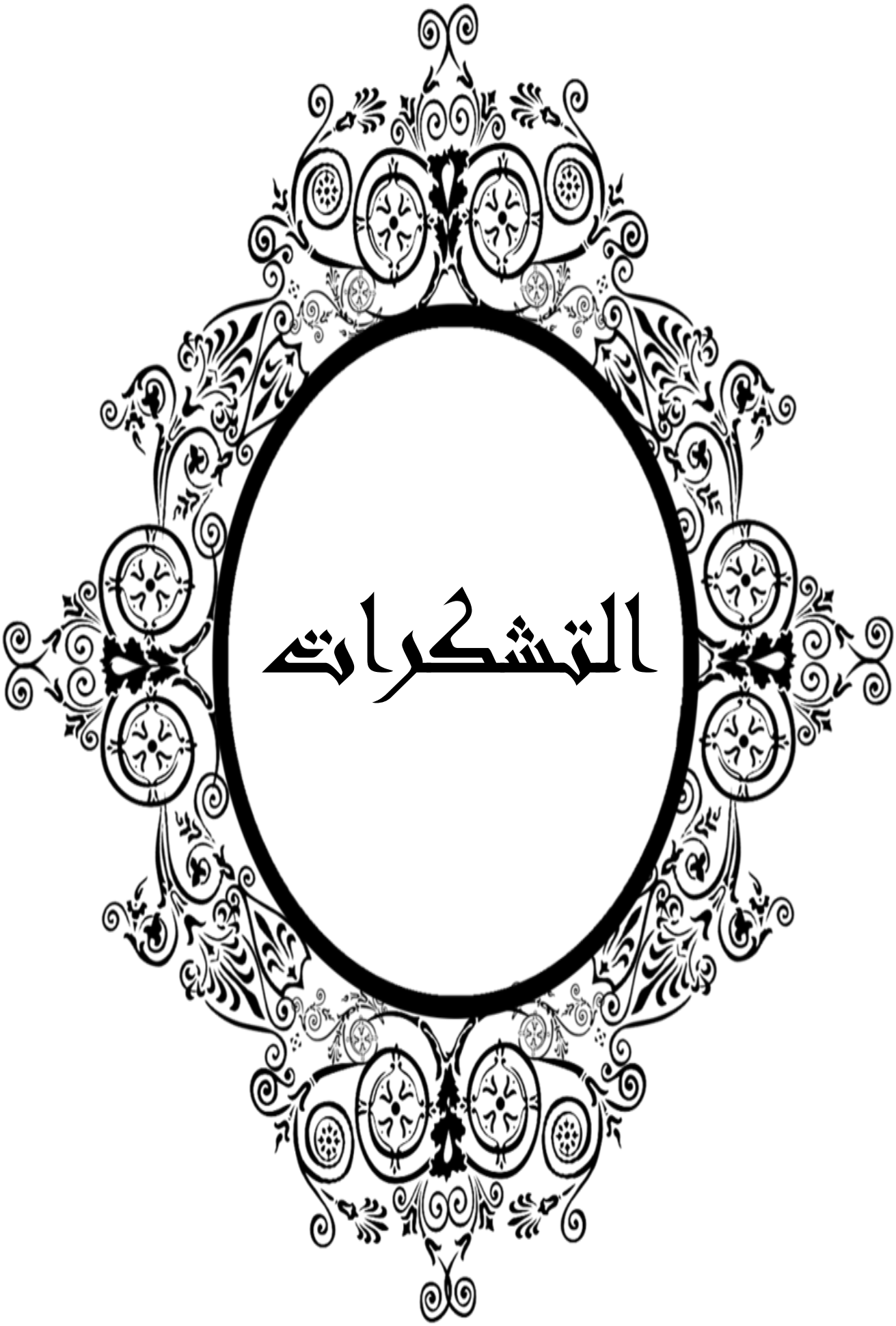
التشكرات

تشـــــــــــــــــكرات

الحمد لله الذي هدانا بفضله و كرمه إلى نعمة الإسلام و أنعم علينا بالتصديق برسالة محمد عليه الصلاة السلام، خاتم الأنبياء و المرسلين، و خير خلقه أجمعين، الداعي إلى الوحدانية و الناشر للواء الإخاء و الإنسانية.

نقدم تشكراتنا الخالصة لله عزوجل وحده لا شريك له و نشكره شكرا لوافي نعمه التي أنعمنا إياها.

آخذين بقول الرسول صلى عليه و سلم: من لم يشكر الناس لم يشكر الله" حديث شريف.

كما نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الذي أشرف على انجازنا لهذا العمل الأستاذ "تامي مجاهد" و كل أساتذتنا بدون استثناء.

و نشكر بذلك كل من قدم لنا يد العون من قريب و بعيد.

الاهـــــــــــــداء

إهـــــــــداء

أهدي ثمرة جهدي إل من أنزل في حقهما الرحمن الحكيم قوله بعد بسم الله الرحمن الرحيم

"و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا"

إلى أغلى شخصين في حياتي

إلى صاحب القلب الطيب و مصدر سعادتي و نجاحي، رمز العطاء و المحبة صديقي الوفي و حبيبي "أبي الغالي"

إلى من جعل تحت أقدامها الجنة إلى من سقتني بدفء حنانها و عطائها على منبع الحب و التسامح " أمي الغالية"

تحية خالصة إلى جدتي الغالية رحمها الله و أسكنها فسيح جنانه

إلى أغلى هدية أعطاني إياها الله سبحانه و تعالى إخوتي العزيزات نعيمة عائشة فاطمة

إلى من تقاسمت معها عملي رفيقة دربي و الأخت التي لم تلدها أمي "أرزاق نور الهدى"

و إلى كل من صديقاتي: حليمة، نريمان، شهرزاد.

إلى الأستاذ الفاضل الذي أشرف على هذا العمل " تامي مجاهد". شكرا له و حفظه الله

إلى كل أساتذتي من علمني حرفا صرت له عبدا.

إلى الأساتذة الذين دعموني دوما: عبيد، مصباحي، خليفة، قديري، علي.

و إلى كل الذين وسعتهم ذاكرتي و لم تسعهم مذكرتي.

جـــــــبار حـــــــياة

الاهـــــــــــــداء

إهـــــــــــداء

إلى من علموني أن الحياة مثابرة و كفاح أبي و أمي الكريمين.

إخوتي و أخواتي

أهلي و خلاني.

و الأستاذ المشرف: تامي الذي كان نعم المعين و السند و زميلتي الحبيبة و أختي التي لم تلدها أمي: "حياة"

إلى من كانوا لي السند و العضد.

أساتذتي

أهديهم جميعا ثمرة جهدي.

أرزاق نـــــور الهدى

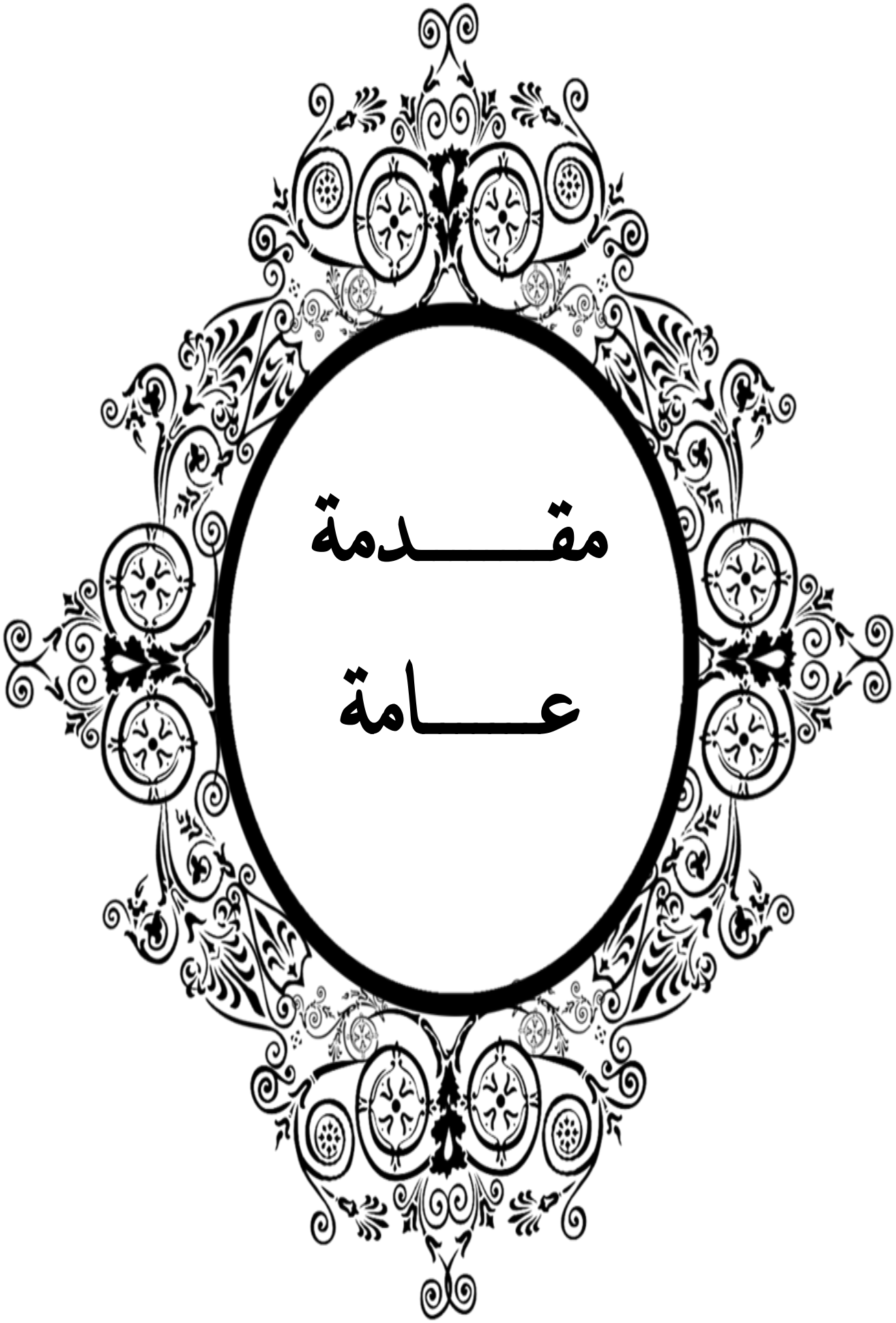
مقـــــدمة
عـــامة

مقدمة عامة:

اللهم لك الحمد و الشكر، لك الحمد بالإيمان و لك الحمد بالإسلام و لك الحمد بالقرآن و على نعمة الأهل و المال و المعافاة بسطت رزقنا و أظهرت أمننا و كبت عدونا. و من كل شيء سألناك ربنا أعطيتنا فلك الحمد على ذلك كله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه حمدا يوافي نعمك و يكافئ مزيدك كما ينبغي لك أن تحمد ثم أما بعد:

الشعر الحديث فصل طويل في باب الشعر العربي، و صفحات كثيرة مملوءة بفكر شعراء أشعلوا نار النهضة، و رفعوا لواء التجديد و حملوا رسالة القريض و أدوها دون التواء، و تمر نموا على قيثارة الشعر بأحلى ألحان الجمال و الطبيعة و الحرية، بعد ما عاش الشعر العربي عصر الانحطاط و الجمود و الضعف الذي لم يستطع فيه الشعراء المحافظة على مستوى الفني و الأسلوبي للقصيد العربية، فكانت النتيجة أن انحدر النظم الشعري،و أمام هذا الوضع برزت مدارس كثيرة متعاقبة، ورواد كبار أعلام، و حركات تجديد متصلة، من بين هذه المدارس المدرسة الإحيائية بزعامة محمود سامي البارودي في المشرق، و الأمير عبد القادر في المغرب العربي.

الكتابة عند الأمير عبد القادر الجزائري أشبه بمغامرة و لكنها مغامرة محببة و مرغوب فيها، فالاقتراب من الأمير ليس اقترابا من شخص عادي يمكن رسم حدوده بسهولة، فهو رجل يختصر في كيانه أمه بكاملها، و يوجز في حياته عصر بأكمله، إن عبد القادر يمتد في المكان ليسع الجزائر و المغرب و فرنسا و الدولة العثمانية و بلاد الشام، و يمتد في الزمان ليعانق القرن التاسع عشر بأكمله، محاولا في كتاباته بث مقومات أصالة الشعر العربي في العصر الحديث، فهو ينظر إلى الشعر على أنه إرث ثقافي مشترك و لا نزاع في جدارته بأن يكون بداية نهضة أدبية في الجزائر، باعتباره ذلك الشاعر القومي الذي

خلق وراء أمه منشأة على مبادئ احترام العقيدة الإسلامية، و على الإيمان القوي بالأصالة القومية و بقداسة الحرية.

و في السياق سؤالا يفرض نفسه:

ما هي بوادر الإحياء الشعري في المغرب العربي في العصر الحديث؟ و من هم أهم أعلام الحركة الإحيائية؟ و كيف أسهم الأمير في إحياء القصيدة العربية و بعث الروح فيها من جديد؟و من هنا فقد جاءت المذكرة في مدخل تناولنا فيه أحوال الإحياء الشعري في المغرب العربي و فصلين: الأول جاء تحت عنوان الإحياء الشعري في المشرق و المغرب العربي" حيث توقفنا فيه عند تعريف الإحياء الشعري، و أهم رواد حركة البعث و الإحياء و أبرز خصائصها. مع ذكر موضوع التجديد الشعري في المشرق و المغرب. أما الفصل الثاني فقد اختص بالحديث عن" الأمير عبد القادر الجزائري"، و فيه توقفنا عند السيرة الذاتية للأمير، و أعماله الأدبية خاصة، الشعر منها، مع تفصيل فيه بذكر موقفه من الشعر و خصائصه العامة. ثم جاءت الخاتمة، و فيها لخصنا أبرز النتائج و ما انتهى إليه البحث، و أخيرا فهرس المصادر و المراجع و فهرس الموضوعات.

و التناول العام لشعر الإحياء عند المشارقة، منهم البارودي و حافظ إبراهيم و أحمد شوقي، و المغاربة مع التخصيص شعر الأمير عبد القادر بذكر دوره في الإحياء، و أيضا دور شعرنا الحديث في إعطائنا صورة متكاملة عن واقع الثقافة العربية في العصر الحديث، هذان السببان كانا الدافع الرئيسي لهذا البحث.

و هنا كلمة شكر و عرفان فوجهها لأستاذنا الفاضل المشرف "تامي مجاهد". الذي اقترح علي موضوع البحث، و كان لتوجيهاته الفضل الكبير بعد الله في بلورة فكرة هذا الموضوع. سائلين الله عزوجل أن يجزيه خير الجزاء في الدنيا و الآخرة. و ما توفيقنا إلاّ بالله تعالى.

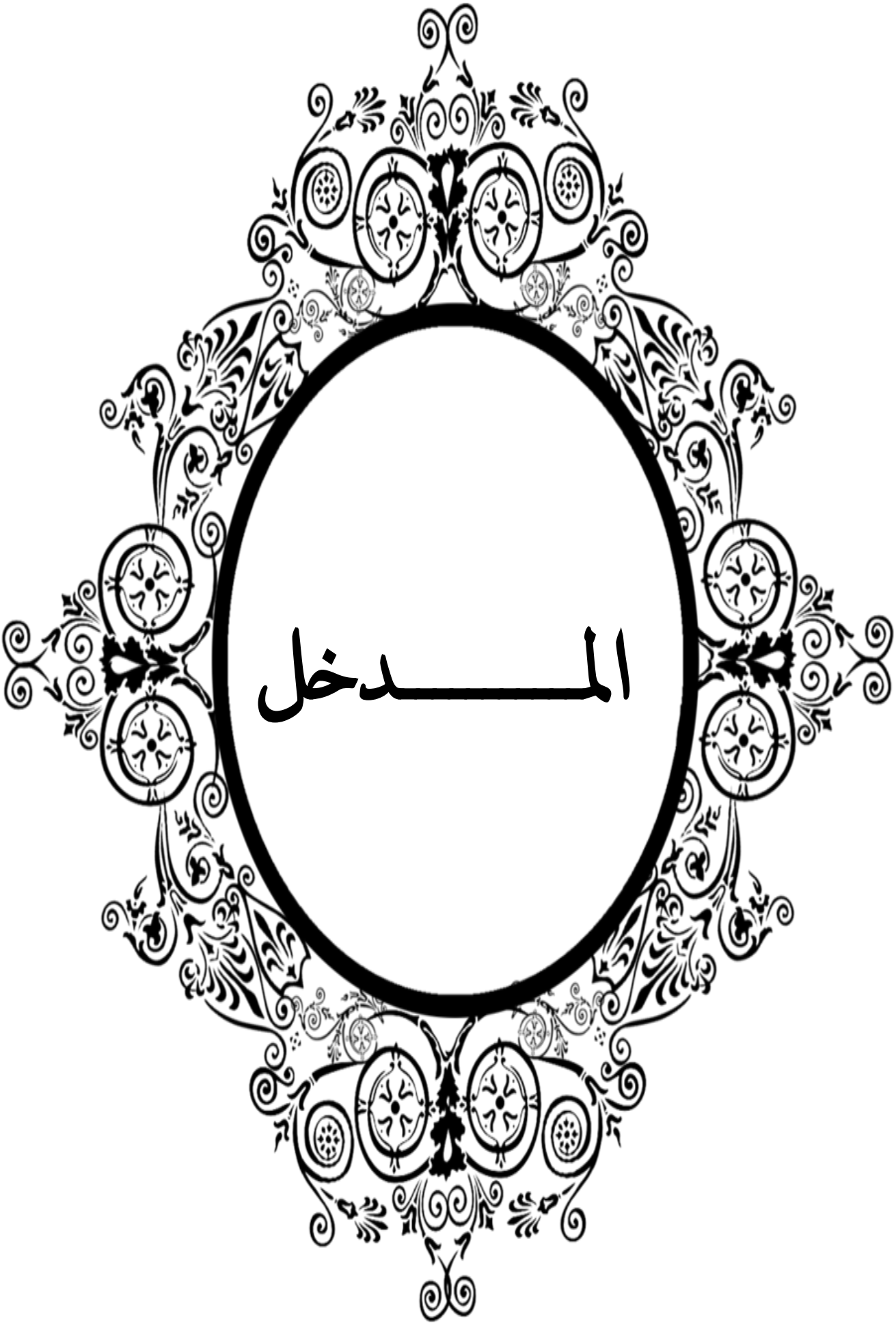
المـــــــدخل

مدخل:

ليس بميسور علينا أن نضع تعريفا ثابتا و محددا لمفهوم الشعر، و بخاصة في الشعر العربي الحديث الذي تعقدت فيه الحياة، و تشابكت فيه أمور و تباينت مشاربها، و لكن الشعر في جوهره حركة فنية في قلب الوجود المتحرك و النامي في ديمومة لا تتوقف، يأخذ فاعليته من روح الحياة،كما يأخذ قدرته على التأثير و النفاذ من قدرتها على الاستمرار.

و على ذلك فالشعر خلق فني يأخذ لونه و طعمه و نكهته، بل و اتجاهه من مجموعة من التجارب الشعرية التي يعايشها شاعر أو شعراء معينون في فترة زمنية معينة و في بيئة مكانية خاصة.

و لما كانت حركة الزمن لا تتوقف، و قضايا الحياة و الكون، لا تتخذ طابعا موحّدا، لا في إطارها العام، و لا في وجهها الخاص الذي يكتسبه في لقائها مع الشاعر، فإن طبيعة الشعر في مفهومه و غاياته لابد أن تتغير من عصر إلى آخر، بل ومن شاعر لآخر، و منه فإن مفهوم الشعر يختلف من قصيدة إلى آخرى، فكل قصيدة لها كيانها الخاص المتفرد تنبع قوانينه الفنية من داخله مرتكزة على أرض التجربة الشعورية التي نبتت منها. (1) غير أن نظرة القدامى إلى مفهوم الشعر لم تكن على هذا القدر من الفهم العميق لماهيته.

طرأ على الشعر العربي في السنوات الأخيرة تطور جذري لا عهد له بمثله، كان نتيجة مفهوم جديد للشعر، و هو لا يزال يتسع و يعمق و يضرب أصولا في التراث حتى يجعل الحد الحاسم الفاصل بين المفهومين القديم و الجديد حدًا حاسمًا و فاصلاً، كان المفهوم القديم للشعر يتمثل في التعريف المأثور "الشعر المقفى الموزون" ثم أضاف إليه المعاصرون قول الزهاوي:

---

(1)عدنان حسين قاسم، الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر في مصر، المنشأة الشعبية للنشر و التوزيع، ط1 ، 1981 ، ص 25.

إِذَا الشِـعْرُ لَمْ يَهْـزُزْكَ عِنْدَ سَـــمَاعِهِ فَلَـيَسَ خَلِـيقًا أَنْ يُـقَالُ لَـهُ شِـــعْرُ.

أو قول الشعر شوقي شارحا سبب هذا "الهز":

وَ الشِـعْرُ إِنْ لَـمْ يَكُنْ ذِكْرَى وَ عَاطِفَةُ أَوْ حِكْـــمَةُ فَـهُوَ تَقْـــطِيعْ أَوْزَانْ.

بهذا كان الشعر حتى منتصف القرن العشرين، صناعة تتوخى هز الوجدان و العقل عن طريق الوزن و القافية من جهة الذكرى و العاطفة و الحكمة من جهة أخرى، وهي نظرة تجعل للشعر مهمة تعليمية أو إخبارية أو وصفية، كالشعر سواء بسواء.

أمّا المفهوم الحديث للشعر فهو ذو فن و الفن لا غاية له سوى التعبير الجميل عن الذات في لحظة الكشف و الرؤيا. إنه ترسيس مجاني، لا عقلي بمعنى أنه يخاطب العقل و لا يخضع لقوانين ، و مهمته التلقائية الفريدة هي النفاذة ما وراء الظواهر المتناقضة المشوشة المبهمة، ليكشف بالحدس و الرؤيا أسرار الوجود الحقيقي المليء بالانسجام و النظام و المعنى. و هو يتوسل إلى ذلك اللغة، و لذلك كان الشعر لغة، أي وليد مخيلة خلاقة لا تعمل عملها الفني إلا باللغة، و هي مادته و جوهره،و هي شكله و مضمونه معا، فلا انفصال بينهما في عملية الغلق و لا تغليب لواحد منهما على الآخر، و لا خضوع إلا لطبيعة العمل الفني الذي يفضل حريته و يكره التشويش و الفوضى.(1)

و الشعر أيضا رؤية فنية متفردة و منغمة تنغيما فنيا متناسقا و منتظما في إيقاعات خارجية، و ترنيم داخلي يجعل التركيب اللغوي مقصودًا في ذاته يتعذر ترجمته أو نقله إلى تركيب لغوي آخر، لأن هذه التراكيب في كليتها مرتبطة ارتباطا عضويا بالرؤية الشعرية، تلك الرؤية التي لا تتبع من صورة أو

(1) يوسف الخال، الحداثة في الشعر، دار الطليعة، ط1، بيروت لبنان، 1978، ص 13 - 14.

تركيب مستقلين إلا بالقدر اللذان ينتميان فيه إلى الصورة الكلية التي تحمل في مساماتها روح العمل الشعري.(1)

على أساس هذا المفهوم الجديد نشأت حركة شعرية ثورية في الشعر العربي لحقت بالشعر المعاصر في آداب الشعوب الأخرى، و أعطت نتاجا تسمى بمستوى عالي فسمى بعضهم هذه الحركة، حركة الشعر الحر و آثر بعضهم الآخر تسميتها بحركة الشعر الجديد، باعتبار الحداثة في الشعر العربي ظهرت تباشيرها منذ مطلع هذا القرن عند شوقي و مطران و مرورا بالرابطة القلمية و جماعة أبولو جماعة الديوان.سواء كانت هذه التسمية أو تلك فإن الحداثة في الشعر إبداع و خروج به عن ما سلف، و هي لا ترتبط بزمن، فما تعتبره اليوم حديثا يصبح في يوم من الأيام قديما، وكل ما في الأمر أن جديدا ما طرأ على نظرتنا على الأشياء فانعكس في تعبير غير مألوف.

لقد كان حال الأدب العربي قبل عصر النهضة سيئا للغاية و قد وصل إلى أسفل دركاته، و لو لا من تداركه من أمراء البيان و فرسانه لما اكتسبت اللغة العربية حلتها العصرية الباهية.

لقد كان لحركتي الأحياء و التحديث قبل نهاية القرن 19 رواد كبار أصلوا مبادئ الفلسفة الاتباعية في الشعر العربي منهم الشيخ ناصف اليزجي و حفني ناصف و علي مبارك و محمد كرد علي، و محمود شكري الألوسي و غيرهم.

---

(1)عدنان حسين قاسم، الأصل التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر في مصر، المرجع السابق ، ص 26.

فهؤلاء أحيوا التراث العربي القديم و قاوموا تدهور الأدب و انحطاط أساليبه في القرن الماضي فعملوا على نشر النماذج الأدبية القديمة الممتازة ثم قلدوها بإنشاء أدب مشابه، و لكن بنظرات حديثة، وقد مثل البارودي في نتاجه الشعري نموذج عصر جديد يمكن تسمية مرحلته بالمرحلة التقليدية أو المرحلة (الكلاسيكية الجديدة) فقد أعلن صراحة أنه يتكلم كالماضين من الشعراء قبله و طالب أن ينتقده غافل لأنه يحاول أن يبعث الشعر بعثا جديدا و يعيد إليه أساليبه في العصور الأولى و انطلق يصوغ الشعر وفق الأغراض التقليدية فوقف على الأطلال و يكن الدمن و الآثار و بالغ بالفخر و اتخذ من التراكيب البلاغية القديمة مادة كتابته بعد أن امتلك أسرار التعبير الشعري القديم و أدواته اللفظية، و دوى اسم البارودي في الأوساط الأدبية و مجد شعره عدد من الشعراء، وبينوا ما فيه من حسن يذكر بالشعر الجاهلي و العباسي.

سلمت زعامة الشعر التقليدي فيما بعد إلى أحمد شوقي الذي أحدثت أعماله الأدبية حركة نشيطة بين النقاد، و كان قد تغذى بمعين الأدب العربي القديم، فقدّس ما فيه وارتّد إليه يعارض شعرائه و يستوحي عواطفه فيما ينظم متخذا من لغتهم مادة التعبير، فظهرت في شعره أنغام الجرس البحرية و معاني الفخر و الحكمة و الرخاء و الغزل التي عرفت في أشغال المتنبي و غيره من فحول الشعر القديم.

و هيمنة أرواح الشعراء الجاهلية كعنترة على قصائد الشاعر العراقي (أحمد الصافي النجفي) كما هيمنت على قصائده أرواح ابن الرومي و المتنبي و المعري، و على الرغم من ظهور مسحة إبداعية جديدة في شعره إلاّ أنّ شكل التعبير و أدواته ظلت و فيه للأدب العربي و طرق صياغته.

أمّا الشعراء الإتباعيون في سوريا فقد جنحوا إلى التشبه بالأقدمين، و بعثوا الأمجاد العربية القديمة، فاهتموا بجزالة اللفظ ورصانة الديباجة، و اعتبر البعض منهم المتنبي ملكًا على أمراء البيان يجب احتذاء نسجه اللغوي، و من هؤلاء الشعراء محمد البزم و سليم الزركلي وعدنان المردم.

أسهم عدد كبير من الشعراء في دعم هذا المذهب الاتباعية الجديد في التطبيق العملي الماثل في قصائدهم،و إن كانت شخصية الواحد منهم تتميز عن آخر بحسب ظروف الحياة و التكوين النفسي و الاجتماعي و الفكري.

كما ترددت أصداء هذا الاتجاه في العراق في دواوين الزهاوي و الرصافي و الكاظمي، غير أن بعض الشعراء حملوا الشعر العربي أغراضا جديدة تتعلق بهموم الوطن و تأخره عن ركب الحضارة مثل شاعر النيل حافظ إبراهيم و خير الدين الزركلي، و خليل مردم و غيرهم و مثل هذا الاتجاه الشعري في ليبيا شاعران كبيران هما أحمد رفيق المهداوي شاعر الوطن الكبير و أحمد علي الشارف، و في المغرب كان محمد غريط و محمد الجزولي و محمد كنون وغيرهم أقطاب الحركة الاتباعية المهتمة بالأمور الوطنية و القومية.

ومن هنا نستنتج أن رياح التغيير لم تهب على بلد واحد كما رأينا، بل أرخت سدولها على سائر البلاد العربية، و قد أتى على هذه الحركة الناقدين الكبيران عمر الدسوقي و شوقي ضيف وراحا يؤرخان لها و يعدان أعلامها أساتذة الجيل المعاصر، فيتحدثان عن قوة أشعارهم النافذة في أقطار العروبة و تخطيها الحدود و الأسوار بتأثير أشعارها الساحرة في النفوس.

و يجمع النقاد و الدارسين أن ظهور الشعر العربي الحديث على النحو الذي نشهده اليوم يعود الفضل فيه إلى خمس حركات أتت ثمارها هي:

1. إحياء التراث القديم و حبه.
2. الترجمة على الآداب الغربية و التأثر بها.
3. الدعوات التجديدية و الهجوم على التقليد.
4. الثورة على الواقع بغية بناء المجتمع الحضاري العصري.
5. تحديث لغة الشعر و وظيفته.

أمّا هذه الحركات قد أسهمت في ظهور عدة مدارس أدبية... و الدعوة إلى إحياء التراث. أوحت إلى أرباب القول صياغة الشعر على النحو الاتباعية (كلاسيكي) محافظ على النمطية التعبيرية القديمة.

نشأة الكلاسيكية في القرن السابع عشر، إثر انتشار النهضة الثقافية في أوربا و بعثت الآثار اليونانية و الرومانية، و ظهور الطباعة الآلية. و قد تأثر الأدباء الأوروبيون بالقواعد التي وضعها أرسطو في تحديد الأنواع الأدبية و طبيعة الفن فميزوا بين المأساة و الملهاة في المسرحية و قيدوها بالوحدات الثلاث، و هي وحدات الموضوع و المكان و الزمان... ويرى الاتباعيون أن حقيقة الإنسان لا تتكشف و لا تتفتح أغوارها في الواقع العادي بل عندما تشتد صور الانفعال ، و تخرج الإنسان بأقواله و تصرفاته من وطأة العقل المتزن و المقاييس الأخلاقية الخارجية و الاعتبارات الاجتماعية، معبّرة عن خفايا ضميره المكتوم و عقده النفسية المكبوتة ... و أنهم توسلوا بالعبارة الواضحة البسيطة للتعبير عما هو معقد وغير واضح مجسدين العنف و التعقيد من خلال الأقوال و الأعمال، معتمدين التحليل و التعليل.(1)

و الكلاسيكية أدب فكرة لا صورة، فهي أسيرة العقل و الضمير الخلقي. و الترجمة عن الآداب الغربية ثقفت العقول الظامئة للمعرفة بنماذج فنية، فاتجه الأدباء إلى تقليدها، لكن نجد العرب يثبتون وجودهم و يؤكدون كيانهم الثقافي وسط عالمهم المهدد بالقوى الأجنبية و يرون أن الإبقاء على لغة الأجداد إبقاء لشخصيتهم و لذلك لجئوا إلى ماضيهم الأدبي يستمدون منه مثلهم الأعلى في النظم و قيامهم المثلى في الشعر.

(1) حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، ط1 ، 1996 ، ص 16- 17.

الفصل الأول

الإحياء الشعري في المشرق و المغرب

المبحث الأول: التعريف بالإحياء و الأحياء الشعري:

المطلب الأول: مفهوم الإحياء (لغة واصطلاحا):

لغة: إحياء (اسم) مصدرًا حيا من يقدر على إحياء الموتى على إعادة بعث الحياة فيها، إحياء الأرض: إخصابها، جعلها صالحة للزراعة، قام الشعب بإحياء ذكرى عيد الاستقلال، الاحتفال بذكرى الاستقلال.

علم الإحياء: علم يبحث في مجمل الكائنات الحية حيوانية أو نباتية و يعرف بإنتاجها و علاقتها و تطورها.

بعث الحيوية و النشاط و الإنعاش و التجديد.

إحياء التراث الأدبي: (آداب) نشر الأدب العربي القديم و اتخاذه مثالا رفيعا في الإنتاج الأدبي.

إحياء علوم الأدب:(آداب) تسمية أطلقت على حركة إحياء التراث القديم اليوناني و الروماني في الحياة الأدبية لعصر النهضة في الغرب ...

أحيا (فعل): أَحْيَا يُحْيِ أحي- إِحْيَاءْ، فهو محق، و المفعول محياَ أحيا الله فلانا، جعله حيًّا، أحيا الناقة، حيى ولدها، أحيا الفلاح الأرض : جعلها خصبة.

أحيا النار: بدأ ينفخ فيها إلى أن اشتعلت.

أحيا الله الأرض: أخصبها أخرج منها النبات.

---

(1)المعجم الوسيط، مؤلف مجمع اللغة العربية مكتبة، الشروق الدولية، عدد المجلدات 61، رقم الطبعة 64، سنة النشر 2004، ص21.

اصطلاحا:

لقد كانت الدعوة إلى استلهام النماذج القديمة استجابة أدبية لمتطلبات النهضة، ورد فعل على ما بلغه الشعر العربي من جمود في عصور الانحطاط اذ تحول إلى مجرد صناعة لفظية توارت خلفها ذاتية الشاعر الذي انساق مع المحسنات البديعية و أغرق في تصيد التكلف الذي لا طائل من ورائه.

و منه هنا فكان الإحياء هو الجهود التي قام بها شعراء البحث في بداية عصر النهضة العربية الحديثة لإنقاذ الشعر مما آل كله من إسفاف و ابتذال بحكم عوامل الانحطاط و لتحقيق هذا الهدف اعتقد شعراء النهضة أنه لا مناص من الرجوع إلى الماضي لإحياء الشعر العربي كما كان في عصورها الذهبية، كما اتخذ شعراء البعث من الشكل القديم للقصيدة نسقا يقتدون به و مثالا يستوحونه يقول البارودي:

تَكَلَّـمَتْ كَـالمَاضِي قَـبْلِي بِمَا جَرَتْ بِـــهِ عَـــادَةُ الإِنْـسَانُ أَيَتَـــــكَلَّمَا

فَـــــلاَ يَعْتَـــمِدُنِي بِالإِسَـــاءَةِ غَـافِلْ فَـــلاَبُدَ لِابْـــــنْ الأَيْـــكِ أَنَ يَتَـــرَنَمَا. (1)

وإذا كانت نهضة الشعر العربي في هذا العصر قد ارتبطت بإحياء النموذج القديم.و النسج على منواله.

لقد عاد شعراء البعث من جديد إلى تلك المعايير و الخصائص التي تم صوغها نظريًا في ما اصطلح عليه النقد القديم بعمود الشعر، و يمكن رد هذه المعايير حسب تعبير المرزوقي إلى ثلاثة أسس هي: شرف المعني و صحته و جزالة اللفظ و استقامته و الإصابة في الوصف. و هي مقومات يستدل بها على حسن النظم و إحكام الصنعة و إذا افتقدها الشعر صار مجرد جسد لا روح فيه.

(1) من إحياء النموذج إلى سؤال الذات، محجوب أمان،المجزوءة الأولى.

اتخذ الشاعر الإحيائي من الذاكرة و المخزون الذهبي و التراث الشعري القديم سلاحا لخوض معركة النهوض بالشعر العربي و إنقاذه من ركاكة التصنع فجاءت قصائدهم صدى للنماذج الشعرية القديمة مبنى و معنى ومن أمثلة ذلك قول البارودي:

كَـــمْ غَـــادَرَ الشُـعَرَاءُ مِنْ مُـتَرَدِمِ وَلِـــرَّبَ قَـــــالَ بَـــدَ شَـــأْو مُـــقَدَمٌ

معارضا قول عنترة في مطلع معلقته:

هَلْ غَادَرَ الشُـــــعَرَاءُ مَـنْ مُـــتَرَدِمْ أَمْ هَلْ عَـــــرَفَتْ الـــدَارُ بَـعْدَ تَـوَهُمِ

و كذلك قول أحمد شوقي:

يـَا نَائِـــحَ الطَلْحِ أَشْـــبَاهُ عَـــوَادِيـناَ نُشُـــــجَى نُوَادِيكَ أَمْ نَأْسَـــى لَـــوَادِينَا

معارضا ابن زيدون نونيته المشهورة التي يقول في مطلعها:

أَضْـحَى الثَّـــنَائِي بَدِيـلاً عَـــنْ تَدَانِينَا وَ نَـابَ عَنْ طِيبْ لُقْـيَانَا تَجَافِـــــينَا(1)

و بهذا الاقتداء استأنف الشعر العربي ميسرة تطوره في المشرق و المغرب فسرت في جذوره دماء جديدة جعلته يستعيد جزالته وقوته من حيث اللغة و التصوير، و قد كانت هذه العودة إلى النموذج القديم مرحلة ضرورية أنقذت الشعر العربي الحديث و جنبته ما سقط فيه شعر الانحطاط من ابتذال، ومن أهم الشعراء، أحمد شوقي، حافظ إبراهيم، محمد مهدي الجواهري، محمد الحلوي، محمد بن ابراهم، عادل الفاسي، معروف الرصافي.

(1) من إحياء النموذج إلى سؤال الذات، المرجع نفسه.

المطلب الثاني: تعريف الإحياء الشعري.

إن المتأمل في حال الشعر العربي الحديث يتبين ارتباطه ببنية تقليدية كان للتراث الشعري يد طولية في تحديد هيكلها، ما نحا إياها صفاتها المنصبة على الاهتمام باللغة و جزالة اللفظ و شرف المعنى و التئام النسيج، لهذا تميزت القصيدة الإحيائية بمستوى لغوي لافت بقاموسه الخاص و قوة الإيقاع عودة بالشعر إلى جو من القداسة بما هو جزء من ميراث الأمة و تاريخها القومي.

لقد كان هذا الاهتمام في الحقيقة وسيلة من وسائل الحرص على محاولة النهضة بالشعر العربي بعد وهدته في عصر الضعف، فكان من الواجب أن يحظى الشعر بالمنزلة نفسها التي كان يحظى بها فيما سبق لذا سعى الشاعر الحديث للمحافظة على الموروث الماضي و التمسك باتباع القدامى و النسخ على منوالهم تشبها بهم و سيرا على منوالهم، لذا بدأ الشعر، بوصفه واقعة جمالية، يتطلع التغيير بل سيكون في طليعة المجالات التي مسّها شيء من التحويل في القرن التاسع عشر، و إن لم يكن بالحجم المتوقع مقارنة مع واقع المجتمع و متطلباته بحثا عن إسهام للشعر في معالجة قضاياه المصيرية.(1)

إن كل الدراسات النقدية التي تعالج النص الشعري الحديث رأت بأنه كان قد مرّ بمرحلة قبل الحداثة تسمى "مرحلة الإحياء" التي كان يتزعمها "محمود سامي البارودي". باعتباره رائد الشعر الإحيائي في المشرق، فإن الأمير عبد القادر الجزائري يعد عند الكثير من الدارسين رائد هذا الاتجاه في المغرب. نظرا لإسهاماته التي يبدو فيها مقلد و متمثلا للقصيدة القديمة في معانيها و مبانيها و أغراضها، و قد سعى لتضمين أشعاره معاني الشوق و الحنين و لوحة الفراق تشبيها بعنترة بن شداد و زهير بن أبي سلمى.

لقد عرف الأمير بثقافته التقليدية الواسعة يحتل فيها التكوين الديني و الصدارة، ويليه التكوين الأدبي

(1) عباس بن يحي، مسارات الشعر العربي الحديث و المعاصر، ص 42.

و اللغوي، الذي يصعب تحديد مستواه تحديدًا دقيقا، و يبدو أنه ليس بالعمق التخصصي و ما يتطلبه من مقدرة على نظم الشعر و الإبداع فيه على بصيرة وعي و هذا بسبب تحمل الأمير أعبء المسؤولية و مصاعبها.(1)

لكن إذا كان الأمير مقلد في أشعاره فهل أسهم في حركة الإحياء الشعري في المغرب العربي؟

عند الحديث عن مظاهر الإحياء فإنه و في مقام التأكيد على تمظهر هذا البعد ضمن فضاءات جغرافية مغاربية عانت هي الأخرى أوضاعا استعمارية قاهرة، لا يستثني الدارس أهمية ما اضطلع به الأمير عبد القادر من دور ريادي في سعيه لاستلهام روح القصيدة العربية القديمة معنى و مبنى من خلال تناوله للأغراض الشعرية المعروفة عند الشعراء القدامى و منها الفخر، الغزل، و التصوف...

لقد كان لتمسك الأمير بواجباته الجهادية و طبيعة تكوينه الديني، دوره في توجيه مضامين أشعاره، و هذا في نزوعه نحو وجهة تقليدية صرفة تأثير بلغة القدامى و أساليبهم الشعرية، طارقا أغراضهم و منتهجا نهجهم في التعبير عن بطولتهم ونبل أخلاقهم و شهامتهم، و تشبههم منه بذواتهم الشاعرية بكل ما يمثلونهم من أي نموذج فذٍ صالح للاقتداء و الاهتداء.

و يتحدد القالب الفني لشكل القصيدة و معناها عند الأمير فنيا بناءً على نظرة محافظة كانت نتيجة طبيعية لنوعية النتائج الشعرية الذي اطلع عليه هذا الشاعر الفارس القائد، إذا وجد فيه وسيلة للعودة بالشعر العربي إلى منابعه الأولى في خصوبتها و غناها الفني و معمارها المقدس، فكانت تلك محاولة تستحق التنويه في مجال الكتابة الشعرية في المغرب العربي، حتى قرن إحياء الشعر في المشرق بالبارودي و ارتبط بالأمير في المغرب، اعترافا بمكانته على الرغم ممّا يوحد بين الشاعرين من نقاط اختلاف خاصة

(1) عباس بن يحي، مسارات الشعر العربي الحديث و المعاصر، المرجع السابق، ص 42.

بظروف النشأة و هموم المسؤولية و تنوع القراءات لكل منهما.

المبحث الثاني: المدرسة الإحيائية و أهم روادها.

المطلب الأول: التعريف بالمدرسة الإحيائية.

الأدب العربي قبل العصر الحديث أحداثا جسامًا، و عاش في ظلال دول لم توجه اهتماما إلى الأدب و الشعر، و سكن إلى راحة النوم العميق و لم يعبر عن صخب الحياة و ضجيجها من حوله و لم يصور المحن و الآلام "قام يجد الشعر من أسباب النهوض ما يرفع شأنه أو يقوي في الوجود سلطانه، وكان لسوء الحالة الاجتماعية من فقر و مرض و جهل أثرها الشديد في ركود الشعر وضعفه و أخذت البديعات و الألغاز و التاريخ الشعري تملأ صحة الشعر بالوهن إلى الخيال المستقيم و الصور الشعرية الباهية".(1)

ومنه فقد سميت مدرسة البعث لأنها بعثت الحياة في الشعر من جديد، و أطلق النقاد عليها تسميات متوازنة، منها مدرسة الإحياء لأن الشاعر البارودي و من يعاصره و من أتى بعده هم الذين أعادوا للشعر العربي حياته من جانب معاينة في سائر أحوال حياة الإنسان و من جانب بنائه الفني فجددوا في الصياغة و نهجها منهج الكبار الشعراء العربية، و في عصر النهضة بعد أواخر الانحطاط الذي عرض شكل تام جميع الميادين، و عرف الشعر بعثا ليساير متطلبات الذات الشعرية في التعبير عن قضايا العصر، كان الشعر العربي في أواخر عصر الانحطاط فقد كل عناصر قوته و حيويته لابتعاده في سبيل الإبداع و الابتكار، و ركونه إلى التقليد و ترديد الصور البيانية و المعاني الموروثة في السلف، كالبحتري و أبي تمام و المتنبي، و اقتصاره على بعض الأغراض التي تأتي مع المناسبات من مدح و رثاء و هجاء.

---

(1)محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس الشعر الحديث، لدار الوفاء للطباعة و النشر، الإسكندرية، 2004، ص 11.

لكن لما جاء عصر الانبعاث أو الإحياء أخذ الشعر مساره و بدأ ينتعش و يسترجع مجددا قواه شيئا فشيئا، قد تأثر الجيل من شعرائه أي عصر النهضة، بما نشره السلف من الشعر في دواوينهم، فاتخذوهم أسوة و قدوة و نسجوا و أبدعوا على منوالهم و أقلعوا عن أسلوب الزخرفة و التصنيع الذي عاصر الانحطاط و بسبب هذا استرجع الشعر قوته و أخذ يرتبط بالحلية الجديدة، ومن هنا فكانت المدرسة الأولى لبحث اللغة العربية و التعريف بأساليبها الأصلية في التعبير الشعري لم تكن تمثل في الواقع إلى مرحلة ضرورية في التطور الفكري لذلك المجتمع، فكان لابد من اللازم أن تبنى النهضة على دعائم و أسس متينة حتى تستفيد من المكاسب التي حققتها اللغة العربية في النهضة الأولى، كما يسميها البعض " وقد تعامل الشاعر الإحيائي مع القصيدة باعتبارها تعبيرا إبداعيا عن مسعى الجماعة و الحفاظ على كيانها، و حدد ذلك للشعر الإحيائي وظيفته التي تجلت في استنفار القوى الوطنية المواجهة القوى الوطنية لمواجهة القوى، الأجنبية الغازية، و البحث عن ملامح الجماعة وقيمها و مثلها الأعلى الذي ينبغي أن تهتدي به في هذه المواجهة، وصل الشعر الإحيائي بذلك "شعر تعليميا" يقود الجماعة في نضالها السياسي و يحدد "مثلها الأخلاقية" في نضالها الاجتماعي.

و لقد أفصح البارودي عن الوظيفة التعليمية عندما وصف شعره بأنه ديوان أخلاق.(1)

إن كل الدراسات النقدية التي تعالج النص الشعري الحديث رأت بأنه كان قدمت بمرحلة قبل الحداثة تسمى: "مرحلة الإحياء" التي كان تبرعمها الشاعر "محمود سامي البارودي". فغمرني مباشرة إثر ذلك سؤال مفاده أين مكانة الشاعر الجزائري الأمير عبد القادر من الحركة الشعرية؟ و كبرت ضرورة إجابة

---

(1)جابر عصفور،حركات التجديد في الأدب العربي، دار الثقافة، مصر، 1975، ص 146.

على السؤال و ما يدور في فلكه من الأسئلة و القضايا ذات الانتساب القوي بالشعر و بالبارودي و بالأمير عبد القادر، يقول: عبد الرحمان الرافعي: " محمود سامي البارودي هو إمام الشعراء المحدثين قاطبة و باكورة الأحكام في دولة الشعر الحديث، و أول من نهض به و باري في نظمه فحول الشعراء المتقدمين، فبعث النهضة الشعرية من مرقدها بعد طول الخمود..."(1)

و عند القراءة لموسوعة الثقافة العربية الإسلامية "شوقي ضيق" كتابه الموسوم "البارودي رائد الشعر الحديث" الذي يقول في مقدمته: " نشأ محمود سامي البارودي في عصر انقطعت فيه الصلة بين الشعراء في جميع الأقطار العربية و أسلافهم القدماء انقطاعا أخلى أشعارهم من كل وراء فإذا هي لغ و من القول و ما يشبه اللغو ... و قد رأت أن أفر هذا الشاعر المبدع الذي يعد أبا للشعر الحديث..."(2)

أمّا الذي ملأ القلب ثقة في العروبة و أشاد بمسيرة الوطن العزيز فذلك الذي كتبه شاعر العروبة الكبير الأستاذ أحمد عبد المعطي حجازي تحت عنوان " لماذا نتـــــجاهل الشـــعر الجزائري" يقول فيه : " لقد عرفت الثقافة العربية في الجزائر في تلك العصور الماضية ما عرفته في كل بعد عربي آخر ازدهار و ضعف السبب بديعي هو أنها ثقافة واحدة تنتسب للغة العربية و الإسلام أكثر مما تنتسب لهذا البلد أو ذاك حين نقرأ شعر الأمير عبد القادر، نتذكر معه البارودي. كلاهما فارس و كلاهما شاعر، و إن رجحنا كفة الأمير في الأولى ورجحنا كفة البارودي في الأخرى، و الشبه لا يقف عند هذا الإطار الخارجي بل يتعداه إلى الشاعرين، و إلى موضوعاتهما، فقد اتخذ كل منهما الشعر للإفصاح و التعبير لا للزخرفة و التصنيع.

---

(1) عبد الرحمن الرافعي شعراء، الوطنية في مصر، ط2، 1966، ص 25.
(2) شوقي ضيف، البارودي رائد الشعر الحديث، المعارف بمصر، ط2، ص 65.

المطلب الثاني: أهم رواد حركة البعث و الإحياء.

محمود سامي البارودي:

عاش محمود سامي البارودي حياته يصول في الحرب، و يغني للحب، و يهتف بالحرية... كما كان بطلا من أبطال الجيش، و رائدًا من رواد الشعر كان كذلك حاديا يحدو مواكب الثورة على الفساد و الاستبداد و الخيانة و التدخل الأجنبي في شؤون وطنه الخارجية و الداخلية.

"و في المنفى عاش البارودي الشاعر سبعة عشر عاما (1883 - 1900)، و ظل ينظم شعره في منفاه في الحكمة و الزهد و الحنين إلى الوطن و الأهل، ورثاء من مات من أسرته، و في الحديث عن موقفه الوطني من الأحداث في وطنه قبل الثورة و بعدها و أثناءها".(1)

أمّا الشعر البارودي في الحب فهو شعر تقليدي مصنوع، لم يتم عن تجربة شعرية عميقة، و مع ذلك فهو كثير في ديوانه، و فيه يتحدث البارودي من ألم الحب و عذابه و لوعته و حرمانه، و يتعجب لقلبه الذي ليس تهدأ لوعاته "فيقول:

مَـــا لِقَلْبِي مِـــنْ لَوْعَـــةٍ لَـــيْسَ تَهْدَأُ أَوْ لَـــــمْ يَكُـــفُ أَنَـــــهُ ذَاتُ وَجُـــدًا

وَ سَمَـــــتْنِي بِـنَارِهَا الغَـــــيْدِ حَـــتَّى تَرَكَـــتْنِي فِـــي عَـــــالَمِ الحُـــــبِ فَرْدًا"(2)

و هكذا مضى البارودي يتحدث في شعره عن الحب و المرأة و الجمال، و هو في عصر شبابه و حريته، و هو الوطني الصادق في وطنيته، و المصري الصميم في مصريته، فانقلب ثائر متحمسا لكل

(1) محمد خفاجي، مدارس الشعر الحديث، دار الوفاء لدنيا الإسكندرية، ط1، 2004، ص 18.

(2)المرجع نفسه، ص 19.

وطنية، يفتديه بروحه و مهجته، و صور مختلف مظاهر ثورته في شعره، و هو شعر أصيل عميق في نفس الشاعر. يرفع من مكانته، و بهذا كان البارودي الشاعر القومي و الوطني الأول في العصر الحديث، و نادى البارودي بوجوب الثورة على الظلم و الفساد، فقال:

إِذَا الْمَرْء لَمْ يَدْفَعْ يَدَا الْجَوْرِ إِنْ سَقِطَتْ عَلَيهِ فَـــلَا يَأْنَفْ إذاَ ضَـــــاعَ مَجْدُهُ

و يَقـــــتُلَ دَاءُ رُؤْيَـــة الْعَـيْنِ ظَالِمًا يُسِـــــــيءُ و يَتْلَى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدَهُ" (1)

و رأى أن الذل و الرضا بالظلم، و الركون إلى الآمال الكاذبة، عار على الإنسان الماجد النبيل، و دعا الشعب إلى أن يهب للمطالبة بحقوقه في الحرية و الكرامة و العدالة، " فقال:

فَطَالَبُوا بِحُقوقٍ أَصَـــبِحَتْ غَـــرَضَا لِكُلُّ مُنْـــــتَزَعِ سَـــــــهْمًا و مُخْـــتَتِلَ

لَا تَتْرُكُو الْجِدَّ أَوْ يَبْدُوَ الْيَقِـــينُ لَـــكُمْ فَالْجِدُّ مِفْتَاح بَاب المطلب الْعَـــــــضِلَ"(2)

و قد حلق الشعراء البارودي في وصف المعارك وفي الشكوى و الحنين إلى الوطن، و في مواقف البطولة و الصمود و العزة، مما لا يطمح في مثله إلاّ الأبطال المعلمون، و يقول عنه أحد أعلام الشعر الحديث، هو أول من رد الديباجة إلى بهائها وصفائها القديمين، وما أعلى قريضه على قريض شعراء جيله، فإنك لتجد الواحدة من قصائده ذاهبة صعدا إلى عهد رقي أزمنة العرب.

أمير الشعراء أحمد شوقي:

لم يشهد الشعر الحر الحديث مجد كالمجد الذي عاش فيه على يدي أمير شعرائه أحمد شوقي، لقد

(1) محمد خفاجي، ، مدارس الشعر الحديث، المرجع السابق ص 21.

(2) المرجع نفسه، ص 21.

حمل الشعر أربعين عاما، و بدأ ينظم الشعر و هو في الرابعة عشر من عمره، كما أنه نهل من شعر أبي نواس و أبي تمام و البحتري و المتنبي، و جمع بين أغراض القدماء و تجديدات المحدثين و موسيقى المعاصرين، و أجاد في وصف الطبيعة، وبلغ في عذوبة اللفظ و سهولة الأسلوب ما لم يبلغ أحد من شعراء المدرسة المصرية الحديثة، و كانت رسالة شوقي الأولى الغناء بمجد مصر و بتاريخ العرب و الإسلام، وكان شعره دليلا قويا على قدرة العربية على استيعاب المعاني العصرية في أسلوب كلاسيكي حر، يمرح فيه الخيال، و تخطر فيه الموسيقى، و تتألف فيه، المعاني و الصور الفاتنة الجميلة، و كان شوقي دائما شاعر العبقري كما وصفة الزيات"(1). و بعد عودته من المنفى شارك الشعب آلامه و آماله و بلغ بذلك شعره أقصى من الذيوع إذ صار لسان الجماهير و شدا به في كل محفل.

حافظ إبراهيم:

في الواحد و العشرين من يوليو 1932 مات شاعر النيل، حافظ إبراهيم، فبكاه الشعب وهو في أعظم مراحل نضاله الوطني ضد الاحتلال، و طوى بموته أحلى صوت وطني عرفته مصر من فوق منبر الشرف " و كان حافظ هو مصر الثائرة، كما كان مصر الشاعرة، و ليس بالقليل أن يصبح شاعر لسان أمته، و الهاتف بنجوى روحها بسر ضميرها، و المصور لأفراحها و أحزانها لآلامها و آمالها، في نزاعها نحو الحرية و طلب الاستقلال.

صور حافظ في شعره بؤسه و همومه في قوله:

" سَعَيْتُ إِلَـــى أَنْ كِدْتُ أَنْتَعِلُ الدِمَـــا وَعُدَّتُ و مَا أَعَقَـــبْتُ إلاَّ التَنَـــــدُمَا "(2)

(1) محمد خفاجي، ، مدارس الشعر الحديث، المرجع السابق ص 31.
(2) المرجع نفسه، ص 34.

ويبكي زعماء وطنه البارودي محمد عبده، مصطفى كامل و كان مشهورا بجودة الرثاء، لا يخالفه فيه شاعر آخر من معاصريه.

و في ثورة الأمة عام 1919م نظم قصيدته في مظاهر النساء، ثم كتب قصيدته "مصر"، و صار حافظ شاعر الوطن و الشعب، و أصابت صحيفة الأهرام حين وجدت شاعر النيل، و أقر النقاد و الكتاب و الشعراء هذا اللقب، و أصبح بذلك يعتلي ذروة الشعر العربي الحديث هو و شوقي.

"لقد بزغ نجم حافظ بعد وفاة البارودي فتصدر الميدان و حاز قصب الرهان في كثير من الأحيان.

و في موت حافظ، بكاه الشعب و العرب، ورثاه جملة من شعراء مصر و العالم العربي، و أكثرها بروزًا مرثية شوقي:

قَــدْ كُــنَّتْ أَوثَــرُ أَنْ تُقَوّلَ رِثَائِــيُّ يا مُنْــصِف الْمــوتَى مِــنَ الْأَحْيَاءِ

و رَدَّدْتِلَوَ أَنّـــــي فِدَّاكَ مِـنَ الرَّدَى و الْكَاذِبُـــونَ الْمَرْجِـــعُونِ فَدَائِـــي

مَا حَطَـــــمُوكَ وإِنَّـــمَا بِكَ حَطَمُوا مِـــنْ ذَا يَحْطِمَ رَفْـــرَفُ الْجَوْزَاءِ

أَنَـــظَرُ فَأَنْتَ كَأَمْسِ شَأْنُكَ بَـــاذِخٍ فِـــي الشُّرَّفِ و اِسْمكَ أَرَفْعِ الْأَسْمَاءِ" (1)

أحمد محرم:

شاعر كبير غنى لشعبه و للعروبة و الإسلام أحمل القصائد، فكان ميلاده خيرا و بركة على آدابنا العربية، و روحا جديدة أعطت للشعر طاقات شابة ساعدت على وثبته الكبرى التي ابتدأها البارودي دعما لنهضة هذا الشعر في طريقه العربي المتحرر، و ذلك مما شابه عصور التخلف.

(1) خفاجي، مدارس الشعر الحديث، المرجع السابق، ص 37.

و عرف عن أبيه التمسك بالدين، و لذا فقد أخذ أهل بيته و عودهم على آداب الإسلام، وسمى ابنه الشاعر باسم شهر عربي.

و كان محرم مفكرا صامتا لا يتكلم الكلمة إلا موضعها، و في سنة 1910 نال شهادة الامتياز بين شعراء النيل، و حاول إيقاظ أمة في عصر طغت فيه الذاتية المادية. " و ظل صامدا يدفع عن وطنه و إسلامه كل هجمة شرسة في صدق و صلابة و أخذ على عاتقه تحذير الشعب من نفاق الانجليز، فيقول:

يا أَيُّهَا الْقَـــوْمَ مَـــاذَا فِـــي حَقَائِبِكُمْ إِنّـــي أَرَى الشَّعَبُ قَدْ أَوَدَى بِهِ الْقَلَقُ

جِـــئْتُم إِلَينَا فَبَاتَتْ مِـــصْرُ رَاجِـــفَةً مِمَّا حَمَّلْتُم و كَـــادَ النِّيلُ يَحْـــتَرِقُ

لِقَدْ أَقَـــامُوا طَوِيلَا بَـــيْن أَظُهْرِنَا فَـــمَا وُثُقنَا بِـــهُمْ يَوْمًا و لَا وَثُقُوا

لَا يَعْـــبَثُ بِإِسْتِـــقْلَالِكُمْ أَحَـــدٌ و لَا يَـــغْرُكُمْ التَّضْلِيلِ و الْمَـــلَقُ"(1)

كما نجد محرم قد ضرب بسهم و افر في السبق إلى تصوير الدعوة الإسلامية في كل أطوارها على يدي رسولنا محمد صلى الله عليه و سلم و يتتبع خطواتها المباركة و قد تجلى ذلك في شعره.

إلى جانب هؤلاء الشعراء هناك أيضا: عزيز أباظة، علي الجارم، الشاعر الماحي، محمود غنيم، أحمد الزين، محمد الأسمر.

و كان يعاصر البارودي في العراق: عبد الغفار الأخرس، محمد سعد الحبوبي، حيدر الحلى، عبد الحميد الشاوي.

---

(1) محمد خفاجي،، مدارس الشعر الحديث، المرجع السابق، ص 41.

و في تونس: صالح السويسي، حسن الجزيرى، محمد الشاذلي، سعيد أبوبكر.

و في المغرب: محمد السوسي، المكي الناصري، محمد بن إبراهيم عبد الرحمان حمد العثماني.

المطلب الثالث: خصائص مدرسة البعث و الإحياء:

اسم يطلق على الحركة الشعرية التي ظهرت في مصر أوائل العصر الحديث، و التزام فيها الشعراء بنظم الشعر العربي على النهج، الذي كان عليه في عصور ازدهاره، منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، و المقصود بهذا الاسم أنه كما تعود الروح لجهد ميت، فترد له الحياة بعد أن فارقته، فيبعث إلى الدنيا من جديد، كما هو الحال بالنسبة للشعر العربي، الذي استسلم إلى حالة من الجمود، أخذ على إثرها في الضعف و الاضمحلال منذ سقوط بغداد.

و من هنا و بفضل الجهود المبذولة من الشعراء فقد تميزت مدرسة الإحياء و البعث بعدة مقومات و خصائص فنية منها:

1- العودة إلى المورث الشعري، و مجاراة القدماء في تقاليد القصيدة، بانتقالها من غرض إلى آخر، و الافتتاح بالنسب و ما يمر به الشاعر، مما يجعل القصيدة متنوعة الأغراض.

2- قيام القصيدة على وحدة البيت و المحافظة على الوزن و القافية، بحيث يكون البيت وحده مع بضعة أبيات مستقلا عن سائر أبيات القصيدة.

3- العناية بالأسلوب و بلاغته وروعته التركيب و جلال الصياغة الشعرية و بهائها و انتقاء اللفظ و اختياره، مما جعل الجانب البياني يتغلب أحيانا على المضمون الفكري و المعني الشعري.

4- متابعة القدماء في موضوعاتهم: من مدح، رثاء و غزل، و فخر...الخ.

5- اقتباس المعاني، و الاهتمام بالأخيلة، و الصور، و الموسيقى، من نحو كالشعراء القدامى، من ذكر الرسوم و الأطلال و الخيام و الكثبان، و الرعيان، و القبائل و استعارة الألفاظ من الشعر القديم : كعيون المهن، و ملاعب الآرام و غيرها.

- ✓ تعدد المجالات (السياسي، الاجتماعي، المجال الأدبي الوجداني المتعدد و الفردي كالرثاء و المدح).
- ✓ ظهور شخصية الشعراء مع اختلاف في مدى ذلك بين شاعر و شاعر.
- ✓ غلبة الجانب البياني على المضمون الفكري و المعنى الشعوري.
- ✓ نسق الأفكار مرتب، وحملت كذلك سمات الإقناع الوجداني.
- ✓ اقتباس المعاني القديمة و الصور و الأخيلة الموسيقية، فلازال و التقليد يغلبان على أفكارهم القديمة.
- ✓ العناية بالأسلوب، وبلاغة، و روعة التركيب.
- ✓ مجاراة فحول الشعراء في الانتقال من غرض إلى غرض
- ✓ الافتتاح بالنسيب و الغزل و وصف ما يمر به الشاعر في طريقه
- ✓ عدم اكتمال الوحدة العضوية في هذه المدرسة فالبيت لا يزال يمثل وحدة مستقلة في القصيدة.
- ✓ مخاطبة شخص آخر لا وجود له في مفتتح القصائد كما في قول شوقي "قم في فم الدنيا".
- ✓ ظهور المسرحية الشعرية على يد أحمد شوقي
- ✓ تعبيرها بالجزالة و متانة السبك و الصحة اللغوية.

ومنه فقد استلهمت هذه الخصائص من القديم بما اتسم به من رصانة و قوة و جزالة. (1)

المبحث الثالث: التجديد الشعري في المشرق و المغرب العربي.

المطلب الأول: التجديد الشعري في المشرق.

يرتبط التجديد الشعري من حيث انتماؤه المكاني المشرقي بظهور القصيدة الرومانسية بأبعادها الإنسانية و خصائصها الفنية و موضوعاتها المتناولة مثل الألم و الحزن و القلق و الحلم اعتمادا على الخيال مع الانتقال من فكرة إلى فكرة بأسلوب انسيابي، و تبدو من حيث وحدتها العضوية أكثر تآلفا و انسجاما مقارنة بالقصيدة الكلاسيكية لذا تتسم بمضمونها العاطفي و قدرتها على التصوير و اهتمامها بمظاهر الطبيعة بما هي إملاء للتعبير عن آلامهم و همومهم فهي بهذا المعنى عودة بالشعر إلى الذات بتجاربها و عمق تصوراتها و نظرتها في الحياة.

ومن التكتلات الأدبية التي انتهجت في أشعارها نهجا تجديديا نذكر تكتلين كان لهما دور لافت في مسار الشعر العربي الحديث، أولاهما " جماعة الديوان" و تضم كلا من عباس محمود العقاد عبد القادر المازني، عبد الرحمان شكري، فالشعر من جهة نظرها مناجاة الروح و الخيال وتعبير عن خواطر إنسانية و تشخيص للطبيعة و محادثتها و اللجوء إليها وقت الأزمات، و عليه انصب اهتمام منظريها على البعد الوجداني للشعر الحرية و تقديس العاطفة و اللجوء إلى الحلم و الرحيل عبر المكان.

" لذا آمن هؤلاء الأعضاء بالوحدة العضوية للقصيدة ووحدة الموضوع، وسلامة الأسلوب، مع نبذهم للشعر المناسباتي الذي يعيق حركة الوجدان لهذا كان شعار جماعة الديوان.

---

(1) المدرسة الكلاسيكية.
http//almaqdam.malware-site-www
كتاب الأدب العربي و النصوص الأدبية، للكاتب أحمد صقر.

أَلَا يَـــــا طَائِـــر الْفَـــــرْدِ و سِـــنٌّ إِنْ الشَّـــعْرُ وِجْـــــدَان.(1)

" أمّا التكتل الثاني فمعروف بمسمى "أبولو" و هو تكتل أدبي ترأسه أحمد أبو شادي، الذي أسهم في مسيرة الشعر العربي الحديث بما بذله رواده من جهود لأجل النهوض بالأدب العربي، و من بين هؤلاء: علي محمود طه، أحمد رامي، أحمد محرم، إبراهيم ناجي صاحب قصيدة (الأطلال) التي يقول فيها:

يا فُـــــؤَادَيْ رَحِـــمِ اللَّهِ الْهَـــــوَى كَـــانَ صَرْحَا مِنْ خَـيَالِ فَـــــهَوَى

اِسْتَـــــقِنَّي واِشْـــرَبْ عَـلَى أَطْلَالِهِ وَارْوِ عَـــني طَالَـــمَا الدَّمْـــعُ رَوَّى.(2)

و ما يميز القصيدة الرومانسية فلا عمّا سبق في تتبع مظاهر الكون و الحياة المحيرة و بخاصة القضايا الوجودية (الموت / الحياة) و الظواهر الطبيعية (الشـــرق / الغـــرب) و الـــنوع النفـــسية (الشقاء / السعادة) و الأحوال الشخصية (الفرح / البكاء)، و هو ما يفسر ميل شعراء هذا الاتجاه إلى توظيف الأسطورة و الاهتمام بأثر الشعر لا بقصديته يقول إبراهيم ناجي:

هَـــلْ أَنْتَ سَـــامِـــعَةُ أنِيـــــنِي يـــا غَـــايَة الْقَلْبِ الْحَـــــــزِينِ

يَـــا قِبْلَةَ الْحَـــــبِّ الْخَـــــفِيِّ وكـــــــعبة الْأَمَـــــلِ الدَّفِـــينِ

إِنّـــــــي ذكرتَكَ بَـــــــاكِيًا و الْأُفُقَ مُغَـــــــبَّر الْجَـــــبِينِ

و الشَّـــمْس تَبْـــدُو و هِـــي تَغْرَبَ شِـــبْهُ دَامِـــــــــيَةِ الْعُـــــيُونِ"(3)

(1) نسيب نشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 158.
(2) ابراهيم ناجي ديوانه، دار العودة، بيروت، 1980، ص 132.
(3) المرجع نفسه، ص 132.

هي الصورة التي ارتسمت في ذهن الشاعر تعبيرا عن حالته النفسية بلغة كلماته و بإحساسه المرهف في مخاطبته للآخر، بما كنه له من مشاعر الودّ فلا يرى إلا مملكة الجميل و قد تجسدت في أفق حزين باكٍ و مساءٍ باك أو شكت شمسه أن تغيب. "و لهذا كانت الصورة في حضورها الفني رسما بالكلمات و تعبيرا عن إسقاط حالة الشاعر النفسية على مظاهر الطبيعة... إن الصورة تتخذ أداة تعبيرية و لا يلتفت إليها في ذاتها فالقارئ لا يقف عند مجرد معناها بل إن هذا المعنى يثير فيه معنى آخر هو ما يسمى بمعنى المعنى"(1)

وعلى هذا الأساس انصب الاهتمام على محاولة تجسيد الرؤى التجديدية بالتنويع على مستوى المنظومة الإيقاعية للقصيدة من حيث الأوزان و القوافي مع الاهتمام بالموسيقى الداخلية بإيقاعها الهادئ تارة و المتوتر تارة آخرى. فالشعر في مستواه النصي إذا هو التعبير بالصورة عن وعي و إدراك لدورها في مستكناه النفس.

ولم يكن من السهل على هذا الرحيل من الشعراء المبدعين أن يتبنوا رؤى تجديدية لشكل القصيدة و مضامينها، مكوناتها، فتتنأى حينها عن التفكك و الاضطراب الناجم عمّا يصطلح عليه بوحدة البيت.

المطلب الثاني: التجديد الشعري في المغرب العربي.

استطاعت القصيدة الرومانسية أن تتعدى بتأثيراتها الفنية حدودا التي ظهرت فيها، فكأن أن امتد هذا الأثر إلى الشعر في المغرب العربي بوصفه مظهرًا من مظاهر التجديد شكلا و مضمونا نتيجة الأوضاع السياسية و الأزمات الاجتماعية المشتركة في العالم العربي.

(1) عز الدين إسماعيل، الأدب و فنون، دار الفكر العربي القاهرة، مصر، ط8، ص 88.

ومن الشعراء الذين عرفوا بمحاولة تموقعهم بين المشرق و المغرب نذكر الشاعر أبو القاسم الشابي، إذ كان عضوا في جماعة أبولو، و في الوقت نفسه لم تنسه العضوية واجب الانتماء إلى الوطن الأم (تونس)، و ما يقتضيه ذلك من رغبة في تحريره من قيود الاستعمار. "يقول الشابي في قصيدته (يَا ابن أمي):

خُلِـــقْتْ طَلِيقَا كَطَـــيْفِ النَّسِـــيمِ وَحُرُّ كَنَوَرِ الضُّـــحَى فِـــي سَمَاهُ

تُغَـــرِّدُ كَالْطُّـــيُورِ أَنَّـــى اِنْدَفَعْتِ و تَشْـــدُو بِـــمَا شَـــاءَ و حَيَّ الْإِلَهَ

و تَمْـــرَحَ بَـــيْنَ وُرُودْ الصَّـــبَاحِ و تَنَعُّمَا بِالنَّـــوَرِ أَنَّـــــــــى تَرَاهُ"(1)

هذا المضمون الشعري على الانطلاق نحو عوالم الحرية الفسيحة و ما فيها من مظاهر الإحساس بمظاهر الطبيعية.

لقد واكب الشعر في المغرب العربي واقعا استعماريا متأزما استدعى ردة فعل من قبل الشعراء الذين يمثلون جزء لا يتجزأ من المجتمع بوصفهم أصحاب رسالة ثورية، فكان ذلك سببا في ظهور الشعر الوطني الداعي إلى التعلق بالوطن و استرجاع الحقوق المهضومة.

و قد تطور مضمون الشعر عند الشعراء المغاربة بما يتناسب و واقع مجتمعاتهم فاهتموا بالشعر السياسي التحرري لتمجيد أبطال الثورة أو الشهداء و منه قول مفدي زكرياء في قصيدته (الذبيح الصعيد):

---

(1) أبو القاسم الشابي، ديوانه، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005، ص 159.

قَامَ يَحْـــتَالُ كَالْمَسِـــيحِ وَئِـــيدًا يَتَهَادَى نَشْـــــوَانُ يَتْلُوا النَّشِـــيدَ

بَاسِـــمُ الثَّـــــــعْرِ كَالْمَـلَائِكَةِ أَوْ كالطِـــفْلَّ يَسْـــتَقْبِلَ الصَّـــبَاحُ جَديدًا

شَـــامِخَا أَنْفِهِ جَـــلَالًا وتِـــيهَا رَافِـــعَا رَأْسِـــهِ يُنَاجِـيَ الْخُلُودُ" (1)

و إن من قصائده ما يتضمن أبعاد ثورية أكثر جرأة في مخاطبة المستعمر على ظلمة وجوده "يقول مفدي:

أَمِنْ الْعِدْلِ صَـــاحَبَ الدَّارُ يشـــقى و دَخِـــيل بِـــهَا يُعَيِّشُ سَـــــعِيدًا

أَمِنْ الْعِـــــدْلِ صَاحَبَ الدَّارُ يَعْرَى و غَرِيبَ يَحْـــتَلُّ قَصْـــــرًا مُشِيَّدًا

وَيُجَـــوِّعُ اِبْـــنُهَا فَيَـــعْدَمَ قُـــوتًا و يُـــنَالُ الدَّخِـــــيلُ عَيَّشَا رَغيدًا".(2)

وهذا ما يدل على ارتباط الشعر بقضايا الوطن في أحلك ظروفه التي عانى من ويلاتها خلال الفترة الاستعمارية متخذين من الشعر وسيلة من وسائل النضال بالكلمة من أجل التحرر و الانعتاق من نير الاستعمار، كما أن النص الشعري عند مفدي لم يخل محاكاة القدامى في أغراضهم و منها غرض الغزل.

و لم يكن الشعر الثوري مقصورًا على الشاعر مفدي زكرياء، و لكنّا نلقيه أيضا عند الشاعر محمد العيد آل خليفة، على الرغم من كونه يعدّ محافظا و حظه من التجديد أقل مقارنة بغيره من الشعراء، إلا أنه كان له محاولات تجديدية في الشعر التمثيلي و منها على الخصوص مسرحيته (بلال بن رباح). تعالج معنى الصبر و قوة اليقين الإنساني في الحياة و مجابهة الظلم و الطغيان، و تقديس الحرية.

(1) مفدي زكرياء، اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية الجزائر، 2007، ص17.

(2) المصدر نفسه، ص22.

إن القول بوجود نتاج شعري بانتماء جغرافي خاص يدل على ثراء فكري إيجابي يفيد الحركة الإبداعية بنأيها عن سلطة الشرق و أبوته الروحية التي كثيرا ما كانت سببا من أسباب انكفاء تجارب المغرب العربي الأدبية على نفسها لعدم وجود وسائل ترويج لأدبائه سواء أكانت تلك الوسائل إعلامية أم مؤسساتية.

لقد كان للشعراء المذكورين تمثيلا توضيحا، إسهامهم الفعال في مسار تطور النص الشعري بهويته في ظل حاجة المجتمع إلى نوعية أفراده خدمة لقضايا الأمة المصيرية، و هذا ما يدل على أهمية توجيه المضامين المطروقة نحو الشعر السياسي التحريري و الشعر الاجتماعي و الإصلاحي.

الفصل الثاني
الأمير عبد القادر
الجزائري

المبحث الأول: الأمير عبد القادر حياته و ثقافته

المطلب الأول: أصله، مولده و نشأته.

أصله: يعود أصل الأمير عبد القادر إلى الأدارسة الذين كانوا ملوكا في المغرب العربي الأقصى و الأوسط و الأندلس(1). ويعتبر السيد القوي الأول، أول أجداد الأمير الذين نزحوا عن المغرب الأقصى و استقر بقلعة بني حماد قرب سطيف من أعمال الجزائر، و ذلك بعد أن اشتدت الفتن و اضطربت الأحوال في مراكش .

وقد اشتهرت سلالة الأمير و عائلته بالعلم و التقوى و الجهاد، فكانوا بذلك موضع تقدير و احترام من طرف الجميع، و بالتالي استطاعت أسرة الأمير أن تبسط نفوذها على القبائل النازحة في نواحي الغرب الجزائري المتاخمة للمغرب العربي، و خاصة في عهد السيد محي الدين والد الأمير عبد القادر (2)الذي اشتهر بالعلم و التقوى، وشدت إليه الرحال من الضواحي و الأمصار لتلقي العلوم و الأذكار، و قد جبل الله النفوس على محبته و القلوب على مودته.

وكان يلقب بالشريف لانتسابه إلى سلالة الرسول صلى الله عليه و سلم. كما كان يمثل شيخ الطريقة القادرية بالجزائر التي انتسبت إليها أسرة الأمير عبد القادر في عهد جده السيد محمد المعروف بالمجاهد، و لذلك كانت قبيلة بني هاشم تنظر إليه نظرة ولي من أولياء الله.

كان الأمير عبد القادر ثاني أولاد الشيخ محي الدين و أمه السيدة زهرة ابنة سيدي محمد بن دوحة الحسنية.

---

(1) محمد طه الحاجري، جوانب من الحياة العقلية و الأدبية في الجزائر، معهد البحوث و الدراسات العربية، القاهرة، 1968، ص 16.
(2) محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، شرح و تعليق د. ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف و الترجمة و النشر، بيروت، ط2، ج2، ص 93.

مما سبق يتبين أن الأمير قد حاز كل أسباب الشرف و العزة فنسبه الحسيني ينتهي إلى نبي الرحمة صلى الله عليه و سلم، و أجدادها علماء أفاضل، بلغو أسمى مراتب المجد و العز بين أهلهم و في أوطانهم، فلا عز إذن أن ينهج الأمير مسلكهم.

هو الأمير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد، بن مختار، بن عبد القادر، بن خالد، بن يوسف، ابن أحمد، بن بشار، بن محمد بن مسعود، بن طاووس، بن يعقوب ابن عبد القوي، بن أحمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر، بن عبد الله المحض، بن الحسن المثنى، بن الحسن السبط، بن علي ابن أبي طالب و أم الحسين فاطمة الزهراء، بنت سيد الوجود، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم و شرف و كرم و عظم.

وقد كان عبد القادر يكنى بأبي محمد، أما ألقابه فهي متعددة أطلقت عليه في المناسبات المختلفة منها، أمير المؤمنين، ناصر لدين، الأمير-الجزائري، ابن الراشدي- ابن خلاد. (1)

مولده و نشأته:

ولد أديبنا يوم الجمعة الموافق للثالث و العشرين من شهر رجب سنة اثنين و عشرين و مائتين و ألف للهجرة (1222هـ)، الموافق لشهر مايو (أيار) سنة سبعة و ثمانمائة و ألف للميلاد (1807م). (2) بقرية اختطها جده لأمه غربي مدينة معسكر من إيالة وهران و تسمى القيطنة بالقطر الجزائري.

نشأ الأمير عبد القادر و تربى في محيط ديني علمي ثقافي، و كان موضع اهتمام و عناية كبيرة من طرف والده الذي مال إله ميلا خاصا، فأحسّ أنه سيكون لهذا الفتى شأنا عظيما، فحاول أن ينشئه نشأة تؤهله لتحمل مسؤولية قيادة الأمير بعد وفاته، فكان لا يسمح لأحد غيره أن يقوم بالعناية به فقد كان هناك

(1) محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر،المرجع السابق، ص 523.

(2) المرجع نفسه، ص 523.

على ما يبدو سر غامض و عاطف غير محددة، يد فعال الأب إلى أن يخصص اهتماما يرى عادي للطفل الذي سيكون مستقبله محفوفا بهالة مجيدة و مرتبطا بمستقبل بلاده.

التحق الأمير عبد القادر بمدرسة والده بالقيطنة وهو في الرابعة من عمر، فكانت ملكاته العقلية على نبوغ غير عادي،" فقد كان يقرأ أو يكتب عندما كان في الخامسة من عمره، لما آنس الشيخ هذا الاستعداد الكبير و لما مات تحلى به عبد القادر من إمارات الذكاء و الفطنة بذل والده خاص جهده في تثقيف ولده و إتاحة الفرص أمامه ليرتع من مناهل الثقافة و الأدب، و ما أن بلغ عبد القادر الثانية عشرة من عمره، حتى أصبح في عداد حفظة القرآن الكريم متمكنا من الحديث و أصول الشريعة، و بعدها بسنتين أصبح في مقدور الشاب عبد القادر أن يلقي دروسا في الجامع التابع لأسرته في مختلف المواد الفقهية". (1)

و إدراكا من محي الدين بأنه العقل السليم في الجسم السليم، راح يشجع ابنه على الفروسية، و ركوب الخيل، و مقارعة أنداده، فأظهر تفوقا مدهشا.

وبعد أن اكتملت للشاب المؤهلات الجسمية و العقلية في مسقط رأسه القيطنة قرر أبوه إيقاده إلى وهران للأخذ عن علمائها و توسيع معارفه، فأنضم إلى طلاب مدرسته المدينة التي كانت بإشراف أحمد بن الخوجة، فازداد تعمقا في الفقه و طالع كتب الفلاسفة و تعلم الحساب و الجغرافية على يد الشيخ أحمد الطاهر البطيوي.

"و بعد سنتين عاد إلى بلدته، حتى بادر والده و قد رأى علامات الرجولة جسميا و عقيا قد اكتملت في ولده إلى تزويجه و انتقى له فتاة جمعت محاسن الخَلق و الخُلق و النسب الشريف و هي ابنة عم عبد

(1) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عد القادر الجزائري و أدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري، ص 13.

القادر، التي كانت مثله تتمتع بجمال و أخلاق عالية، و قد تم حفل زفاف على الطريقة الإسلامية، و

عمره آنذاك الخامسة عشر".(1)

يشار إليه بالبنان لشدة البأس و قوة البدن و الفروسية و هو صاحب السبعة عشر ربيعا و بذلك عود نفسه وروحه على تحمل الشدائد و الصعاب و كأن الأقدار تهيؤه لمستقبل يتطلب تربية خاصة.

و على الرغم من الثراء الذي كانت تتمتع به أسرة عبد القادر، إلاّ أن ذلك لم يدفعه إلى اللهو و الترف، بل كان متواضعا، فقد كان "ذا ايجابية ساحرة على بساطة و أناقة في لباسه، متواضعا، إلا أنه كان شغوفا بتزيين سلاحه فقد كانت بندقيته التونسية الطويلة مرصعة بالفضة، أما مسدسه فقد كان مرصعا بالجواهر". (2)

بدأت ملكة الشعر تظهر لدى عبد القادر للعيان، حيث بدأ يقرض الشعر و لما يبلغ العشرين من عمره بعد ، على الرغم من أنه " لم يسبق له تعلم موازين الشعر و مقاييسه و لا سبق له أن تلقى أصوله ومبادئه على أستاذ خبير في فن الشعر و أصوله". (3) فجمع بذلك بين رتبتي السيف و القلم مما زاد أبا إعجابا و فخرا به \، فكان لا يقدم على عمل دون استشارته و لا يحضر مناسبته اجتماعية أو سياسية إلاّ برفقته.

كان الأمير عبد القادر منشغلا يكتب الفلسفة و درس كتابات مشاهير المؤلفين من عهود الخلافة العربية عن التاريخ القديم و الحديث و عن الفلسفة و اللغة و الفلك، و الجغرافيا، و تشربّ التصوف من خلال كتب محي الدين بن عربي.

لم يظهر الأمير و أبواه بالأمان و الاستقرار في بلدتهما طويلا، فلم يلبثا إلاّ قليلا حتى بدأت نذر

(1) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عد القادر الجزائري و أدبه، المرجع السابق، ص 13.

(2) شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة و علق عليه: أبو القاسم سعر الله، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1982، ص 39.
(3) يحي بو عزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، مطابع دار الفكر، دمشق، ط2، 1961، ص 150.

الغزو الفرنسي تلوح في الآفاق تهدد البلاد و العباد بدعوى الاقتصاص من حادثة المروحة المفتعلة ورد الاعتبار إلى الشرف الفرنسي المهان، فأقامت فرنسا الدنيا و أقعدتها، و أرادت أن تفرض (36) قاسية على الداي تمس كرامة البلاد و حكومتها.(1)

و في السابع عشر من يونيو-جوان من سنة 1830 نزلت القوات الغازية ميناء سيدي فرج قادمة من ميناء طولون الحربي، و اعتقدت فرنسا أن الاحتلال للبلاد قد تحقق، و لكن خاب ظنها، فقد كان أحمد بآي في الشرق الذي التف حول المجاهدون ليقود مقاومة بسلة سجلها له التاريخ بأحرف من نار ونور، وكان عبد القادر في الغرب الذي دخل الأحداث من بابها الأوسع بتحمله مسؤولية الجهاد و أثقال الإمارة.

المطلب الثاني: إمارة الأمير عبد القادر.

مبايعة بالإمارة:

و بعد أن غادر الداي المخلوع البلاد بشروط مهينة، ترك الشعب الأعزل وحده في أتون معركة غير متكافئة على الإطلاق، يواجه بصدور عارية أسلحة الفرنسيين، و ضرب الأهالي أروع الأمثلة في الدفاع و الاستبسال على وطنهم، و كلما ازداد الشعب إصرارا على الجهاد و القتال ازداد العدو بطشا و تنكيلا و ارتكب العدو و أبشع الجرائم في حق الشعب الأعزل.

و أمام هذا الدرك الأسفل الذي انحدرت إليه أحوال البلاد، تسابق أولو الرأي من العلماء و الفقهاء في محاولة لإيجاد مخرج لهذه الأزمة، و اتفقوا على شيء واحد و هو اللجوء إلى محي الدين لمعرفة رأيه، وراودوه على الإمارة فأعتذر إليهم بكبر سنه، و أمام إصرارهم اقترح عليهم مبايعة ابنه عبد القادر بالإمارة، فأستقبل الحاضرون هذا الحل الفجائي، و قد رددا اسم عبد القادر بحماس، و كان عبد القادر في

(1) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و أدبيه، المرجع السابق، ص 18.

ذلك الحين يقود معركة ضد الجيش الفرنسي، و لما بلغه الخبر، قال في هدوء و انضباط و زهو: إن من واجبي طاعة أوامر والدي" فأكبر الجميع منه هذه المقولة التي تعبر عن النبوة الطائعة و الإخلاص الوطني.(1)

و بعدها مباشرة بدأ مراسم البيعة الأولى، فرحبوه من غريس عند شجرة الدر دارة و هي شجرة عظيمة كان القوم تجتمعون تحتها لشورى و كان ذلك بتاريخ 13 رجب 1248 ه الموافق ل 28 نوفمبر 1832 م، حيث بايعه القوم و في مقدمتهم والده، الذي لقبه بعد مبايعته "بناصر الدين" (2) و لعل الصورة التي تمت بها مبايعة عبد القادر تحت شجرة الدر دارة كان الدافع اليها اقتفاء أثر السلف الصالح، و تقليد الصور الرائعة التي تمت فيها مبايعة الرسول في بيعة الرضوان تحت شجرة الحديبية، في قوله تعالى:(لقدر رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) سورة الفتح. (3)

و بعد أن تمت البيعة توجه الأمير إلى مسجد معسكر، فاستقبله الجموع استقبال الملوك و السلاطين، ودخل المدينة و منها بيته حيث أخبر زوجته بالمسؤولية الكبرى التي أنيطت به، و ما تتطلبه هذه المسؤولية من تفريغ لها فخبرها بقوله: "إن أردت أن تبقى معي من غير التفات إلى طلب حق فلك ذلك، و إن أبيت إلاّ أن تطلبي حقك فأمرك بيدك لأني قد تحملت ما يشغلني عنك".(4)

" أرسل الأمير الوفود و الرسائل إلى بقية القبائل الذين لم يحضر البيعة لإبلاغهم بذلك، ودعوتهم إلى مبايعته أسوة، و انعقد بذلك مجلس عام حضرته جماهير عريضة من أفراد الشعب، و جرى فيه أداء البيعة الثانية العامة في 13 رمضان 1248 هـ الموافق ل 4 فبراير 1833م" (5) وفيها اختار القوم بكل حرية

(1) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و أدبيه، المرجع السابق، ص 22.
(2) المرجع نفسه، ص 23.
(3) القرآن الكريم، سورة الفتح، آية 17.
(4) محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر،المرجع السابق، ص 157.

(5) المرجع نفسه، ص 158.

و مسؤولية الشخص المناسب الذي سيتولى هذه الدولة، لتدخل الجزائر بعهده مرحلة جديدة من الكفاح و الجهاد المنظم المتشبع بروح القومية التي طالما أخمدها التعالي العنصري و النزاع القبلي.

إمارته: أدرك الأمير للوهلة الأولى أن النظام و الاستقرار و الأمانة هي الدعائم الأولى لبناء صرح الدولة الفنية، و ذلك بإنشاء كيان قوي عصري يجمع القبائل المتفرقة ففي وحدتها قوة الإمارة و مناعتها، فكان أول ما سعى إليه الأمير في بناء دولته" أنه تجنب أخطاء الحكم التركي الذي جعل ممثليه الجزائر عرضة للخطر و كراهية الناس، فعمد إلى بناء إمارة أساسها إخلاص الحكم وثقة المحكومين" (1)

و استغل الأمير ما في جعته من تجارب سابقة اكتسبها من رحلاته، فبدأ في تشييد الحصون و القلاع و الاهتمام و العلم و إكرام أهله، و كيف لا و هو العالم الفقيه الذي يدرك ما لعلم من مكانة في عصر كعصره لإقامة دولة حديثة قوية لا تزول بزوال الحكام، و لإعطاء العهد الجديد القوة اللازمة، سعى الأمير إلى استخدام رجال تتوفر فيهم القدرة و الكفاءة و الالتزام، ليحملوا معه عبء المسؤولية الثقيل أمام الله و أمام الشعب.

و كعادة كل دول في اختيار شعار لها، وراية تتميز عن غيرها جعل الأمير رايته من الكتان الحريري أعلاها و أسفلها خضروان ألون القسم الأوسط فأبيض رسمت فيه يد مبسوطة، و كتب حولها بشكل دائري عبارة "نصر من الله و فتح قريب" ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين، و الرسم و الكتابة كلاهما مطرزان باللون الذهبي، كما عين الأمير شخصا معلوما لحمل هذه الراية التي تتقدم موكب الأمير في رحلاته و جهاده.

و بعد ما أرسى الأمير قواعد إمارته الفتية قسمها إلى مقاطعات إدارية تسهيلا في إدارتها و تخفيف

(1) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و أدبيه، المرجع السابق، ص 24.

الأعباء عن حكومته المركزية، فقسمت دولته إلى ثلاث مقاطعات هي: معسكر، مليانة، تلمسان، متخذا مدينة معسكر عاصمة لدولة الناشئة و مقر لإقامة، و لمادامت للأمير مناطق أخرى و اتسعت رقعة إمارته قسمّها إلى مقاطعات و قسمت كل مقاطعة إلى دوائر على رأس كل منها حاكم يدعى "آغا"، و قسمت الدوائر إلى عدد من القبائل، يرأسها ضابط إداري يسمى القائد، وتحت القائد مسؤول آخر و هو الشيخ، الذي يشرف على عشيرة من عشائر القبائل.

و هذا التنظيم الدقيق الذي أخذ فيه الأمير بعين الاعتبار العلاقات البشرية و الأوضاع الاجتماعية العامة السائدة في ذلك العصر، يكشف عن تفهمه لحاجة قومه لنظام يكفل لهم الارتقاء من عهد الإقطاع و القبيلة، إلى عهد التعايش الاجتماعي و الالتزام نحو بعضهم و نحو الدولة.

المبحث الثاني: إستراتجية الأمير في بناء الدولة.

المطلب الأول: دولة الأمير الوطنية و تنظيم الجيش.

دولة الأمير الوطنية:

أدرك الأمير منذ الوهلة الأولى التي تصدى فيها لتحميل المسؤولية قيمة و دور العلم و الثقافة في بناء الإنسان، ورقي الدولة و قوتها و قيمتها، و بذل كل ما في وسعه لنشر العلم و المعرفة بكل فروعها في أوساط رعيته و خاصة الشباب و كان الحجز الأساس في هذا المجال هو الاهتمام بالكتب و المراجع مهما كانت قيمتها العلمية و الأدبية، و لذلك كان للأمير يبذل كل و نفيس في استحضار الكتب و جلبها من الآفاق، سواء بالشراء أو النسخ أو النقل، و نجحت سياسة الأمير في هذا الميدان نجاحا عظيما، فجمعت لإمارته الكتب المتنوعة لشتى العلوم أسس لها مكتبة ضخمة، و أودع بقية الكتب المخطوطة في حصن

تاقدامت مع أغر نفائس الدولة ووثائقها و أسرارها. (1)

و اختار الأمير لمن يتولى مهمة التربية و التعليم رجالا أكفاء مشهورين بتبحرهم في مختلف العلوم لينشروا رايته، و اهتم بأوضاعهم ماديا و معنويا، و شجعهم على التأليف و الإبداع، و إن الأمير أعطى أوامر باحتلام المثقفين أينما وجدوا، و أنى كانوا كما أمر بإعفائهم من الضرائب و المطالب على اختلاف أنواعها و أصنافها". (2)

و كان حب الأمير و أقبل عليه الناس أفواجا و ازدهت الحياة العلمية، كما تطلع الأمير إلى إدخال العلوم الحديثة في مناهج الدراسة ليواكب العصر كالطب للعناية بالحالة الصحية الشعبية.

و هكذا تجلت مجهودات القائد الشاب في هذا المجال، لأنه كان يعلم أن نشر العلم و الثقافة في إمارته لم يكن إجراء إداريا فحسب، وإنما هو أداء فعال لليقين في صحة من يعتقد و يعلم" و تعليق بالسلاح الذي لا يبذل عطاؤه حينا ليزدهر حينا آخر، فحروب رجل مثل عبد القادر في بلد كالجزائر ضد أكثر دول العصر تقدما و وراثة لمخلفات حرب استمرت ثلاثة قرون بالمغرب، و قرنين بالمشرق، لابد أن يكون في بعض دوافعها و نتائجها فضلا عن وسائلها و مظاهرها حربا ثقافية". (3)

بعد أن تم للأمير تقسيم البلاد إداريا أقبل على الوظائف الشرعية ينظمها علما منه بأن العدل أساس الملك و أن لحق و القانون فوق الجميع، و قد وضع الأمير شروطا لمن يولى هذا المنصب أهمها أن يكون فقيها نزيها، مشهودا له بالعفاف، و القيام بأمور الدين، كما حرص على أن تكون أحكام القضاء و المدني و العسكري وفقا للشريعة الإسلامية، فجاءت الأحكام مستمدة من الكتاب و السنة، و قد آتت هذه

(1) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و أدبيه، المرجع السابق، ص 28.
(2) المرجع نفسه، ص 29.
(3) محمد السيد الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري و ثقافته و أثرها في أدبه، مكتبة الملك فيصل الإسلامية، 1984، ص 48.

السياسة أكلها فالتف الشعب حول أمير الفتى،و اجتمع شمل الأمة حول منهاج واحد ضاربين صفحا عن خصوماتهم و نزاعاتهم هدفهم الوحيد بناء دولة قوية لمجابهة العدو المتربص.

"و إلى جانب ذلك اهتم الأمير بمحاربة الفساد الأخلاقي و الآفات الاجتماعية فألغى البقاء و منع شرب الخمر و أمر بالصلوات الخمس و أحدث أمورا محسنات للإمارة و المملكة لم تكن موجودة" (1)

فلا يجب إذن بعد هذا أن يرى الشعب مظاهر الأمن و الاستقرار، حيث يقول الأمير: "اعلموا أن الغاية الوحيدة لقبولي هذا المنصب أن تكونوا آمنين على أنفسكم و أعراضكم و أموالكم، مطمئنين على بلادكم متمتعين بوظائفكم الدينية و لا يمكن أن أبلغ مرادي من ذلك إلاّ بمساعدتكم ما لا و رجالا". (2)

بناء و تنظيم الجيش:

تقلد الأمير زمام السلطة في إمارته و هو يعلم أنه ينطلق من العدم، و أن عليه أن يكون عند حسن ظن مبايعيه، و لن يأتي له ذلك إلا بإنشاء دولة قوية، إنها و لا شك تتجلى في القوة العسكرية من جيوش و عتاد، و لهذا اتجهت نظرة الأمير إلى إعطاء هذا الجانب الهام الأولوية المستحقة و إلاّ فإن سلطانه سيظل دوما عرضة للخطر و الزوال، فسينهار مع أول مواجهة حقيقية مع العدو، وأيقن أن الحماسة وحدها لا تكفي، و أن مقاومة المحتل ينبغي أن يعد لها العدة الكاملة، و يهيأ لها كل الظروف المادية و البشرية، فالقضية أصبحت صراحا على البقاء و الدوام. " فعقد الأمير مجلسا عموميا من رجال الدولة و أعيان الرعية و زعمائها. و خطب فيهم خطبة أوضح فيها فوائد العسكر النظامي و منافعه، و أصدر أمر بتجنيد و تنظيم العساكر من كافة البلاد" (3)

---

(1) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و أدبه،المرجع السابق، ص 30.
(2) المرجع نفسه ، ص 31.
(3) نفسه ، ص 34.

و هكذا بدأ عهد جديد في تنظيم الجيش الوطني، فتوافدت الجموع التي رأت في نفسها القدرة على حمل السلاح تتطوع بنفس راضية لتنال شرف الجهاد و القتال تحت لواء الأمير عبد القادر.

ولم يول الأمير مهمة الجيش أحدًا بل تصدى بنفسه لتدريبه و تنظيمه و الإشراف عليه لما يمثله هذا القطاع من أهمية باللغة، فعليه تتوقف قوة الدولة و عزتها، فلابد إذن أن يكون الإشراف مباشرة من الأمير فقسم جيشه إلى ثلاث فرق: المشاة، فريق الخيالة، الفرقة الثالثة مدافعون". (1) ووضع دستورا أو قانونا عسكريا يحتوي على آخر التفاصيل المتعلقة بالانضباط و الرواتب و ملابس جنده.

و قد تصدى أحد كتاب الجند بتكليف من الأمير لوضع رسالة جامعة لكل القوانين و الضوابط و النواهي و الأمر يقوله: " وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغائب مما أمر بتنفيذه سيدنا و مولانا أمير المؤمنين مولانا الحاج عبد القادر نصره الله آمين.(2) قد أوضح كاتب الرسالة كل ما يتعلق بالجند من نظام ولباس وعدة و عتاد و أسماء الضباط و القواد و الجنود، و هي وثيقة هامة لا يستغني عنها في دراسة الجوانب العسكرية لدولة الأمير عبد القادر الجزائري.

وهكذا بدأت النواة الأولى لجيش نظامي تتشكل طبيعته من أفراد الشعب لم يعرف التجنيد الإجباري حتى أيام الحكم التركي، شعب يثور طبيعة حتى من مجرد فكرة التجنيد الإجباري" (3)

كما سعى الأمير لاستيراد السلاح، ولم يسمح لقواته بشراء الأسلحة و الذخيرة و إنما حصر هذا العمل به و بمن ينتدبه، و ليس معنى هذا أن الأمير قد أهمل الصناعات الحربية الوطنية و اعتمد على استيراد فقط،بل إنه سعى جاهد البناء معامل الذخيرة و السلاح مستعينا بالخبرة الأجنبية.

---

(1) محمد عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 191.
(2) تشرشل، حياة الأمير عبد القادر،المرجع السابق، ص 145.
(3) المرجع نفسه، ص 140.

و لحكمة القائد المدرب الواعي راح الأمير يرتب الجيش و يدرب و ينظمه ويسلحه أحسن تسليح، يقول الأمير: "إننا لا نحاربكم محاربة نظام و ترتيب، و لكن محاربة هجوم و إقدام، و لو فعلت ما قلت و خرجتم بهذه القوة، كنا نتقهقر أمامكم متوغلين في الصحراء بأهلنا و أطفالنا، و في هذا التقهقر نناوشكم القتال حتى لا ترجعوا عنا، ثم نصابركم حتى تضعف شوكتكم و تلين قوتكم، و متى سنحت الفرصة و تورطتم في فيافي الصحراء ... فحينئذ ماذا كنت تصنع أيها الجنرال" (1)

المطلب الثاني: جهاد الأمير و حروبه.

بهذا التنظيم المحكم الذي أبداه الأمير في تكوين دولة استطاع أن ينظم أمور البلاد و أن يدخل مع فرنسا في معارك و مواقع كثيرة غير متكافئة البنية لا في العدد و لا في العدة. "تجلت شجاعته و عبقريته في كثير من المعارك و لعل معركة مستغانم بالخصوص ستظل شاهدة على خبرة و مهارة كبيرة في الإلمام بفنون الحرب و لما تولت انتصارات الأمير على الجيوش الغازية خاصة بين سنتي 1832 - 1833 اضطرت فرنسا إلى الاعتراف بدولته و عقدت معه معاهدة عرفت باسم معاهدة دي ميشال، حيث اعترفت فيها فرنسا بسلطة الأمير على كامل الإمارة في مقابل إقراره لفرنسا بالسلطة على مدن الجزائر، مستغانم، و وهران و أرزيو" (2)

و نادى الأمير أن حي على الجهاد فلبى الناس النداء المقدس، و جاءوه على كل ضامر ومن كل فج عميق يدفعهم لحماس بنصرة الدين و الوطن طاعة لأميرهم المفدى الذي بايعتموه على أن يكونوا معه ورهن إشارته في السراء و الضراء.

استطاع الأمير البطل بجيشه الذي لا يزيد 2000 فارس و 1000 من المشاة أن يلحق الهزائم

(1) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و أدبه، المرجع السابق، ص 36.
(2) يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري،المرجع السابق، ص 52.

المتوالية بجيش العدو، فكانت معركة المقطع الشهيرة التي أحدثت هزة عنيفة في فرنسا ذاتها أدت إلى تغيرات كبيرة في الجيش الفرنسي، ومن أهم النتائج التي أسفرت عن هذه المعركة هي انهيار معنويات الجيش الفرنسي و إدراكه لحقيقة ثابتة و هي أنه لن ينال من الأمير مهما قويت شوكته لأنه يحارب بلا مبدأ و لا هدف.

و من أشهر المعارك التي أدارها الأمير القائد بقوة و اقتدار معركة سيدي إبراهيم"، حيث راح الفرنسيون يتفننون في ابتكار وسائل القتل و التعذيب و التشريد و سياسة الأرض المحروقة، لكن و على الرغم من ذلك لم يتخل الشعب عن قائده، فكان بعد كل مجزرة يتعرض لها يجددا العهد بدمائه على مواصلة المشوار و الذود عن الشرف المداس". (1)

لقد تحطمت آمال العدو أمام صلابة صخرة المقاومة الشعبية الوطنية فلم تجد فرنسا بداً من مصالحة الأمير لتسترجع أنفاسها، و أوعزت إلى سفاحها الجنرال "بيجو" أن يسعى لعقد معاهدة مع الأمير تبقى لفرنسا بعض ماء الوجه، "واستمرت المفاوضات بين الأمير و الجنرال إلى أن كللت بتوقيع معاهدة تافنا الشهيرة في السادس بيع الأول سنة 1254 الموافق لأول حزيران 1838 والي اشتملت على خمسة عشر بنداً" (2)

واستمرت المعارك بدون هوادة و لا انقطاع ضرب فيها الأمير و أبطاله أروع الأمثلة في التضحية و الشجاعة مما ألجأ فرنسا إلى انتهاج سياسة (فرق تسد) بين القبائل كما اتبع الجنرال بيجو سياسة الأرض المحروقة مما نتج عنها استسلام بعض خلفاء الأمير بعد أن أخذت مظاهر الضعف و الوهن تبدو عليهم و

(1) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و أدبه، المرجع السابق، ص 43.
(2) المرجع نفسه، ص 44.

هكذا توالت الهزات في جيش الأمير، و كانت المصيبة الكبرى بسقوط عاصمته الزمالة في 1843م حيث انسحب سلطان العرب متأثر بجراحه أمام العدو الذي كان يلاحقه" (1)

لكن الأمير لم يستسلم، و لم ييأس قط حتى و هو في أشد حالات الإحباط و الضعف و لم يفوت على نفسه أية فرصة لمناوشة عدوه، و لما سدت في وجه الأمير السبل، استلم في سنة 1847 بعد أن صلى ركعتين بزاوية سيدي إبراهيم التي شهدت تلك المعركة الرهيبة بينه و بين فرنسا.

وبذلك طويت صفحته مجيدة من صفحات الجهاد المقدس الذي حمل لواءه الأمير مدة سبعة عشر عاما و ستة أشهر و ثمانية أيام، و الذي بقي نبراسا اقتدت به الأجيال بعده، و غادر الأمير الجريح أرض الوطن و لسان حاله يردد بحسرة:

إِنْ يَسْـــــلَبْ الْقُـــــــوَّمُ الْعَـــدا مُلَّكِيٌّ و تَسْلِمَـــــــنِي الْجُـــــمُوعُ

فَـــالْقُلَّبُ بَـــــــيْنَ ضُلُوعِـــــهِلَمْ تَسْـــــلَمْ الْقُـــلَّبُ الضُّـــــــــــلُوعَ

أَجَـــــــلِيَ تَـــــــأَخُّرٌ لَـــــمْ يَكِنْ يَـــهْوَاهُ ذُلِّـــــــــــــيٌّ و الْخُضُوعَ

مَاسَـــــرَّتُ قَـــــطُّ إِلَـــــى الْقتَـــــالِ و كَـــــــانَ مَـــــنُّ أَمَلِي الرُّجُـــــوعِ

شِـــــــــيَمُ الْأَوْلَـــــى، أَنَا مِنـــــهُمْ والأصـــــل تَتَّـــــــــــــبُعُ الْفُرُوعُ" (2)

---

(1) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و أدبه، المرجع السابق، ص 45.
(2) المرجع نفسه، ص 48.

المطلب الثالث: الأمير في المنفى و وفاته.

الأمير الأسير: غادر الأمير أرض الوطن التي أفنى في سبيلها زهرة شبابه، و وهبها روحه و نفسه و قلبه ينفطر حسرة و ألما، راضيا بقضاء الله و قدره،ساخرا من هذا الزمن الذي لا يبقى على حداثته، على متن سفينة أسمودس، وسيق الأمير و رفاقه إلى قلعة لا مانق و هناك أحس أميرنا أنه خدع، و أيقن أن لا ملاذ له إلا الصبر، و في اليوم التالي تقدمت الحكومة الفرنسية بعرض سحني تمثل في مكانة مرموقة في فرنسا مقابل ترحيله إلى الإسكندرية فكان جواب الأمير فاصلا و حاسما: " إني لا أقبل هذا و لو فرشت لي سهول فرنسا و مسالكها بالديباج، و ها أنا بين أيديكم فافعلوا ما بدا لكم، و لا يمكن أن أترك طلب الوفاء بالعهد ما دمت حيا"(1)

ولما خابت فرنسا مسعاها المغري عرضت على الأمير التوجه إلى باريس أسوة بإبراهيم باشا، لكن عبد القادر أفحم أعداءه تنم عن إباء و كرامة إذا قال لمحدثه و هو يحاوره: " إن إبراهيم باشا يرى باريس و غيرها من أمصار فرنسا متنزها له يمرح فيه كيفما يشاء، و أما أنا أرى فرنسا الآن إلا سجنا لي و لمن معي، فلا فرص عندي بين لون و باريس"(2)

و هكذا أوجدت فرنسا نفسها أمام رجل عظيم لا يبيع أقواله و مبادئه بزخرف الدنيا و متاعها، فالرجل بطل حرب و بطل كلمة، و أيقنت أن لا سبيل مع الأمير المصمم على أمره، و لكن هيهات فالذي صبر على المكاره لعشر و أردفها بسبع و لم ييأس و هو في أشد حالات الإحباط و الضعف، لم يكن أن يخضع لمثل هذه الإغراءات المادية التي تخدع أميرًا فارسا مثل الأمير عبد القادر. تألم الأمير و سلم أمره لقضاء الله فالأسر سيطول، و لذلك فعليه أن يفكر في أمر يشغل به هذا الفراغ، فانطلق بنفس مؤمنة قوية،

(1) محمد بن عبد العزيز، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 511.
(2) المرجع نفسه، ص 72.

و دام مدة خمس سنوات على التدريس و الإفاضة و البيان و التثبيت، و هكذا وجد الأمير عزاءه بين الكتب و العلوم و العبادة، و قرأ على أصحابه أكثر مدونات الفقه المالكي شهرة بالمغرب، و استطاع الأمير أن يؤلف في هذه الفترة العصيبة في سجنه كتاب: "المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل و الإلحاد"، و كثرت محاوراته و مراسلاته، و سبق غيره بفتح عصر المناظرات و المجادلات العلمية بين المسلمين و أهل الديانات، كما أنه نظم كثيرا من قصائده الشعرية التي جادت بها نفسه الأسيرة، و خاصة قصائده في الشكوى و الحنين للأهالي.

وفاته: كان الأمير عبد القادر يتمتع بصحة جيدة في شبابه و شيخوخته على الرغم مما تتحمله من نوائب الدهر و مصائب الزمن جهاد و كفاح و أسر في سبيل الله و الوطن حيث تحمل ذلك بجد و صبر و نفس قوية إلى أن أصيب في أخر أيامه"بورم في خصيته يمنعه من الإسراع في المشي إلى جانب إصابته في الكلى و المثانة، ومع ذلك لم يظهر ضجرا و لا تأوها قط و لا ترك الصلاة في وقت من الأوقات" (1)

و في الساعة السابعة من ليلة يوم السبت 19 رجب 1300هـ/ 12 مايو 1883 م لبى نداء ربه بنفسه راضية مرضية، و ذلك في قصره في قرية دمر بضاحية دمشق عن عمر يناهز 76 حولا، و اهتزت دمشق و ما جاورها لهذا المصاب الجلل، و سرعان ما ذاع الخبر في جميع الأنحاء فعم الحزن و الأسى كل من يعرف عبد القادر.

(1) محمد بن عبد العزيز، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 856.

المبحث الثالث: الأمير عبد القادر و شعره.

المطلب الأول: موقف الأمير عبد القادر من الشعر.

لم يكن الأمير ينظر إلى الشعر نظرة مداح أو مكتسب، و إنما كان ينظر إليه على أنه إرث ثقافي مشترك، يتقاسم الجنس العربي مفاخره و مجده و يعتبر إهماله تفريطا في أصالة ثقافة أسلافه، و لذلك يردد قول الشاعر:

إذاَ جُهِلَتْ مَكَانُ الشَّـــعْرِ مِنْ شَرَّفِ فَـــأَيُّ مَفْـــخَرَةٍ أَبَقَّيْتَ لِلْعَـــــرَبُ (1)

في رأينا أن رأينا أن حرصه على تكرار مثل هذا البيت يبرز مستوى تقديسه لتراث أجداده و يدلنا على الدوافع النفسية التي كانت وراء قيامه بوظيفة تشجيع الشعراء الناشئين و تقييم نظمهم، و كذا تلقينهم خصائص اللغة الأدبية.

نشاط أدبي يؤكد السمغوني في مرثيته بالقول:

و أَحَـــــــسْرَتنَا لِلطَّالِـــبِينَ فَـــأَنَّهُمْ مَـــنْ بَعْدَ، صَـــــارُوا بِغَيْرَ مَـــنَار

ذَهَبٌ الَّذِي، يَجْلُوَ الْغَوَامِـضُ عَـــنهُمْ مِنْ بَـــــعْدَ أَنْ أَعْيَّـــتْ عَلَى الْأَفْكَارِ

ويَـــجِلَّ كُـــلُّ دَقيقَة معـــــــتاصة بِأدلةِ يَسْـــــتَكِنْ كُـــلَّ ممـــــاري

لَهَفِيٌّ عَلَى الْأدبَـــــاءِ مِـــنْ ذَا بَعْدهُ يَلْقُونَهُ، بِبـــــدَائعِ الْأَشْـــــــعَارِ ؟

ذَهَبٌ الَّذِي كَـــانَ يُلْـــغِيَ سُعُرُهَا وَيُجِيرَ بَيْتُ الشَّـــعْرِ بِالدِّيـــــــنَارِ.(2)

---

(1) شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 150.
(2) محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر، المرجع السابق، ص 894.

وهي شهادة حية تكشف بأن الأمير اهتم في حياته بتقوية لغة طلابه،و انكب على تحديث ثقافتهم في البلاغة التقليدية، و هو عمل تربوي له دور مهم في إحياء الثقافة الأدبية بعامة، يخدم قضية بعث مقومات الأصالة الشعرية العربية، و فيه ما يوحي أن تحديثه للغة و تثمين آدابها كان يهدف للرد على المحافظين وظيفة أدبية أقرب إلى النقد، يؤكدها الأمير نفسه في تثمين" ديوان الحمزاوي" الذي يكشف فيه عن علاقة الشعر بالمتعة الفنية و الإثارة النفسية، ذلك حرصا على إبراز أهمية هذه العناصر في تهذيب النفس، و تغذية العواطف الإنسانية.

سبق الأمير غيره في إعادة تشكيل بنية محتوى قصيدة الشعر الوجداني و لربما لم يحمل ديوان الحمزاوي إلا قليلا من شحنات المتعة الفنية، و الإثارة النفسية، فوظفه لترويج لأهميته لإثارة وجدان المتلقي ليلفت نظر الشعراء إلى العناصر التي يراها ملائمة لثقافة العنصر. بهدف دفعهم لإحياء الصور الوجدانية التي و أدها شعر المناسبات. فالأمير له رغبة في بعث الشعر الذي يثير في القارئ إحساس الشاعر، و ذلك ما نستنتجه من حثه للناشئين على محاكاة الصور الوجدانية التي تجسد الطبيعة. مما يكشف عن إرادته في توجيه طلابه إلى التفاعل مع حيوية الكون و سكونه، من ذلك مطالبته عبد الرزاق البيطاري، محمد المبارك بالنسج على منوال قصيدته الوجدانية التي مطلعها:

عَجـَـــبِي - فَديتُكَ - فِـــي أَبَاطِحِ دَمْـرِ ذَاتِ الرِيَـــاضِ الزَهَــرَاتِ النَـــظَرِ. (1)

(1) ديوان الشاعر الأمير عبد القادر، تحقيق زكريا صيام، المؤسسة الجزائرية للطباعة، جزائر، 1986، ص 169.

المطلب الثاني: أهم الأغراض الشعرية في ديوان الأمير.

أ- الفخر: تعامل عبد القادر بالشعر مع غيره مثلما تعامل به مع نفسه فقد كان الأمير فارسا حقا، يقنع بالجانب الحسي من بطولته فطلب لها جمالها في الشعر و حلاها بالقصيدة ليربط عروبته بأجداده الأوائل بأعز رباط و أقدس تراث سلاحاً و أدبا فالأمير استطاع أن يكون شاعرا بقدر ما أتاح له تكوينه الثقافي و محيطه الفكري، و إن يكون شاعر بطلا فوق ما تهيئه الظروف و يحتمله العصر "فاجتهد في أن يكون يطعم هذا بذلك، و يوفر التطابق بين الوجهين و التجارب بين الموقفين موقف البطل المجسم و الشاعر المعبر" (1)

و هكذا فأنت إذا رأيت رجلا عظيما في البطولة نسيت أن هذا الرجل يجيد الأدب و الخطابة، و إذا أنت قرأت لشاعر عظيم غاب عنك أن هذا الرجل شجاع و محارب، و شاعرنا عبد القادر افتتن الناس بشجاعته و بطولته في الجهاد حتى كادوا ينسون أن هذا البطل صاحب قلم وصولجان و أنه رب سيف و كلمة، و أعطى لكل جانب حقه.

و لعل أفضل ما جادت به شاعرية عبد القادر هو ذاك الذي تناول فيه موضوعات الفخر و الحماسة لأنهما أشبه به، و أجدر بشخصية، فشعره في الفخر يذكرك "بعنترة بن شداد"، فالأمير حين يفتخر يتحدث عن هواجس و أفكار لا تصنع فيها و لا تكلف، لذلك كان شعره صادق كل الصدق صحيحا كل الصحة، و من هذا المنطق أراد عبد القدر أن يعيد إلى الأذهان في الجزائر تلك الصور للفروسية العربية الأصلية، في وقت كانت فيه عاجز عجز المرحلة التي تمر بها البلاد، و هكذا تصاعدت أنفاس الأمير شعرا بطوليا، "وارت مت مواقفه قصائد معبرة نستشف من خلالها القوة و الضعف في ثورة الأمير، و الأقدام لا يعترف

(1) صالح خرفي، في ذكرى الأمير، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، الجزائر، 1984، ص 68.

بالإحجام، و البسمة لا تترك مجالا للعبرة و التكبر لا توهنها الآهة أو الزفرة." (1)

و الدارس لفن الفخر عند الأمير يلاحظ أنه نصب في نقطتين أساسيتين هما: الفخر الفطري الطبيعي، ثم فخر مكتسب إرادي حازه الأمير و ناله بمواقفه البطولية و أخلاقه الحميدة، ومن أشعاره الفخرية قوله:

وَرَّثَـــنَا سُـــــؤْدُدَا لِلْعُرْبِ يَـــــبْقَى و مَا تَبْـــقَّى السَّـــمَاءُ و لَا الْجِـــبَالُ

فَبِالْجِـــدِّ الْقَـــدِيمِ عُـــلَّتْ قُـــرَيْشٌ و مَـــــــا فَـــــوْقَ ذَا طَابَتْ فَـــعَالُ

و كَـــــــانَ لَـــــنَا دَوَامُ الدَّهْرِ ذَكَر بِـــــذَا نَطْقِ الْكِـــتَابُ و لَا يَـــــزَالُ. (2)

ب- الغزل: انفرد عبد القادر دون كثير من شعراء عصره بالأقدام الشجاع عل الغزل، ذلك أن معاصريه من الشعراء لم يكونوا إلا قضاة شريعة، أو أئمة صلاة، أو دعاة إصلاح لا هم لهم في الغزل، و لعل أهم الأسباب التي دعت الشاعر إلى التطرف إلى هذا الفن و الخوض فيه هي علاقة الأمير بالمرأة بشكل عام و دور الأمومة في حياته بشكل خاص.

يحدثنا محقق الديوان عن هذه العلاقة بقوله:" و لعل السر في هذا الخضوع للمرأة كان من وراء إعجابه لأمه و حبه لها و شدة تعلقه، فقد لازمها في حله و ترحاله، و سلمه و حربه" (3)

---

(1) صالح خرفي، في ذكرى الأمير، المرجع السابق، ص 42.
(2) ديوان الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 27.
(3) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و آدبه، المرجع السابق، ص 96.

أما الدافع الثاني فهو سلطان الجمال، فعلى الرغم من أنا شاعرنا كان عصبي المزاج،لا يلين للقوة مهما قست وطغت، فيه شيء من منهجية البادية و عنادها، على ليونة في القلب أمام الجمال و تراخ لعزة المرأة". (1)

وشاعرنا يعترف بهذا اعترافا صريحا في أحد أبياته:

و سُلْـــــــطَان الْجَـــمَالَ لَهُ اِعْتِزَازٌ عَلَى ذِي الْخَـــيْلِ و الرَّجُـــلَ الْجـوَادَ

و عبد القادر ينطلق من تراثه الإسلامي و تربيته الدينية فلا يرى في الغزل عيبا ما دام عن الإباحة، و ينجو فيه منحى روحيا ينتمي إلى التيار العذري في صدقه، فلم يكن غزله ماديا ما جنا، لذلك يرى شعر الغزل عنده مما يعاب به.

ج- الوصف: الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف، و لا سبيل إلى حصره و استقصائه،و هو مناسب للتشبيه مشتمل عليه، فالفرق بين الوصف التشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشيء و أنه مجاز و تمثيل، و أحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسمع.

و المتصفح لفن الوصف عند شاعرنا يلاحظ أنه ينصب حول نقطتين رئيسيتين هما: الوصف البدوي، و الوصف الحضري.

الوصف البدوي يمثل المرحلة الأولى من حياة شاعرنا التي عاشها في الجزائر،و لعل أهم قصائده في هذا الجانب قصيدته الشهيرة "ما في البداوة من عيب" (2)

---

(1) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و آدبه، المرجع السابق، ص 96.
(2) ديوان الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 35.

أمّا الوصف الحضري كان نتيجة للاستقرار الذي عاشه الأمير في دمشق و بقية الحواضر الأخرى بعد أن أطلق سراحه، و ابتعد عن حياة البادية بما فيها من حل و ترحال، و يمتاز وصفه في هذه الفترة بميزتين هما، الوصف النسخي الحسي التقريري و التشخيصي الوجداني.

د- المدح: إن أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ و هو يتبع فن المدح عند الأمير عبد القادر، هو ابتعاده عن التزلف في عصره، "فإنه يذهب فيه وجهة للنقد مختلفة فيرى ضرورة اعتماد الصدق الفني، وفق مذهبه الأخلاقي ليس بالنسبة لقائل الشعر فحسب، و إنما لا من الصدق بالنسبة الفاعل البر و محسن المثوبة، فعبد القادر إذن أحد المداحين القلائل في تاريخ الأدب العربي الذين لا يعرفون بالهجاء من باب معرفتهم بالمدح، و قيامهم معا حيث ارتبط نوع من المديح الكاذب بنوع من الهجاء الظلم في تاريخنا هذا" (1)

من خلال القراءة المتأنية لشعر المدح عند عبد القادر، نلاحظ أن مدحه ينصب في ثلاثة محاور هي: المدح الصوفي، المدح السياسي، المدح الأدبي.

يقول الأمير:

لَا عُــزُوَ إِنْ أَحَبَّبَتْكُمْ مِـــنْ قَبْلَ مَا شَاهِــدَتَكُمْ أَنْــــتُمْ جِــمَالُ الْعَــالِمِ

كَــانَتْ عَلَى سمعَيْ تُغَارَّ نَـوَاظِرِي حَــتَّى رَأَيْتِكَ أَنْــتَ، أَنْــتَ مُكَلِـمِي

عِنْــدي الْأَيَادِي الْبـيضَ حَيْثُ أَرَيْتَنِي مَا كَانَ قَبْــلَا فِـــــي يَقِين الْعَــــالِمَ

(1) محمد السيد الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري و ثقافته و أثرها في أدبه، المرجع السابق، ص 267.
(2) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و آدبه، المرجع السابق، ص 183.

هـ- **المدائح النبوية:** تعتبر المدائح النبوية فن من فنون الشعر، التي أذاعها التصوف، فهي مفعمة بالصدق و الإخلاص، و قد وجد فيها الشعراء ملجأ و ملاذا يسكنون إليه، يدفعهم إلى ذلك الحالة التي آل إليها المسلمون الأبرار، يستلهمون من سيرتهم العطرة العبر، و ينفسون عن أنفاسهم ما يحسونه من ظلم و اضطهاد، و يحنون إلى ذلك العهد المجيد الذي كان المسلمون فيه أسيادًا أقوياء، يمنون الأنفس الجارحة بآمال الخلاص و قرب الفرج، و انبلاج الصبح الذي طال انتظاره، و لذلك يلاحظ أن عصر ازدهار المدائح النبوية هو عصر الحروب الصليبية و غزو التتار للشرق الإسلامي، ثم حقبة انتهاء الحكم الإسلامي في الأندلس" (1)

و الأمير عبد القادر عاش كثيرا من المحن و عايشها، فرأى بأم عينه الاستعمار البغيض يدوس أرض بلاده، و هكذا كانت مدائح الأمير النبوية متنفسا له، و تعبيرا عن واقع مرير تغلب عليها نظرة صوفية، كما تكشف بوضوح عن نفسيته المؤمنة بالله، المحبة المطيعة لرسوله و أهله و صحبه الكرام.

ففي مقطوعته " يا سيدي يا رسول الله" (2) التي اتخذت من الرسول الكريم محورا لها دعاء و توسلا و مديحا، لأنه يمثل السند و الرجاء، و الحصن و المدد و الذخيرة عند الاحتياج، و العدة عند الخطر، فهو الشفيع الرءوف الرحيم.

يَـــا سَيِّدُي يا رَسُولِ اللَّهِ يَـا سَـــنَدِيّ و يـــا رَجَائِيّ و يا حِصْنِيّ و يا مَدَدِيْ

و يَـــا ذَخيرَة فُـــــقَرِي يا عِيَاذَيْ يا غَوْثِـــــي يَـــا عُدْتِي لِلْخُـطَبِ و النَّكَدِ

يَـــا كَهْفِ ذِلّيّ و يا حَامِي الذِمَارَويَا شَفِيـــعَنَا فِـــي غَدٍ أَرْجُوكَ يَـــا سَنَدَيْ

(1) عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري و آدبه، المرجع السابق، ص 183.
(2) المرجع نفسه، ص 184.

فليس للأمير شفيع غير المصطفى، لذلك يسعى دوما لرضاه بالعمل الصالح، و اتباع سنته بتدلل و حب لعل ينال الحظوة فيكون الذين رضي الله عنهم،و ذلك هو الفوز العظيم.

المطلب الثالث: خصائص شعره العامة.

إن شعر الأمير بعامة نظيف من آفة التكسب"تلك الآفة التي من شأنها أن تشدد الشاعر إلى حاكم أو غني، و تجعله يقول لا ما يرضي الشاعر نفسه، بل ما يرضي الحاكم أو ولي النعمة" (1) و فيه من الخصائص الفنية المتنوعة ما يسمح لنا بتوزيعه على مجموعتين متمايزتين، تمايز ظروف فترة المقاومة عن فترة السجن و المنفى، بحيث نجد الأمير يلزم في الأولى بتقليد الفحول تقلداً غير مفلس من صدق تجاربه، قويا بألفاظه الجزلة، مؤثرا بحركية الصور الحربية و السياسية، جذابا بأسلوبه البياني في الإعلام الحربي، و في الدعاية السياسية.

و من البديهي أن يتميز شعر الأمير في هذه المرحلة بمحاكاة شعر الفحول، و بالتناص مع ذوي الطبع السليم، أما في المرحلة الثانية، فجل شعره يمكن اعتباره من بواكير الاتجاه الوجداني الحديث، لما فيه من الصور النفسية و بخاصة في الحب من ذلك قول:

أَلَا قُـــلْ لِلَتِّي سَلِـــبَتْ فُـــــؤَادِيٌّ و أَبَقَّـــتْنِي أَهِـــــــيمُ بِكُـــــلَّ وَادِ

تُرِكَـــــتْ الصَّـــــبُّ مُتَلَهِبًا حَشَاهُ حَلِيفُ شَـــجَّيْ يُجَـــوِّبُ بِكُلَّ نَـــادِ

و مَـــالي فِـــي اللذائذ مِـــنْ نَصِيبْ تَـــوَدُّع مِـــنهُ مَسْـــلُوب الرُّقَـــادِ.(2)

(1) أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، ط 7، دار المعارف، مصر، ،1998، ص 59.
(2) ديوان الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 135.

و قد لا نبالغ إذا ما صنفنا الأمير كأول شاعر في العصر الحديث، تناول موضوع الشك الذي يهدف إلى إشباع غريزة التأمل، كما نجده يسرف موضوع الشكوى الذي يتقاطع في كثير منه مع أشعار هؤلاء و أولئك من الوجدانيين و الرومانسيين، "الذين كثيرا ما يفيضون بأحزانهم، و يصورون آلامهم، التي تكون أحيانا واضحة لأسباب مبررة، و أحيانا أخرى غامضة مجهولة المصدر" (1) تقاطعا يكشف فيه الأمير عن تموج عامله النفسي المكدس بالهموم و الأحزان.

أمّا موضوع الشوق و الحنين، فيكاد الأمير ينفرد به في عصره، كظاهرة نفسية لازمته في فترة المقاومة، و صاحبته في السجن، و استمرت معه في المنفى إلى نهاية المشوار، و لعله من العدل و الإنصاف أن نقرّ له بالتبكير في تجسيد مشاعره في صور نفسية، تماثل في كثيرها بلاغة شعراء الاتجاه الوجداني، من ذلك للإخوان و الأصدقاء، و كذا البكاء على فراقهم، و التمني بسرعة لقاءهم.إرادة في الخروج من التقليد الروتيني، و رغبة جموحة في تطوير المعجم الشعري و تحديث النسيج البياني، تكشف عنهما صلة شاعر الأمير بالاتجاه الوجداني، ومن أشعاره أيضا شعر المقاومة الشعبية الذي يجمع ما بين تسجيل الصور الحربية و النفسية، ذلك الشعر الذي سجل به شجاعة جنده، و إستراتيجية في قيادة الجيش، و قوة بطشه في مقاتلة الأعداد، و كذا نخص خبراته الإنسانية، الفطرية و المكتسبة التي وظفها في صور وجدانية، لا يمكن لأي ناقد نزيه، أن ينكر أو يتجاهل إيجابياتها، في نقل الإحساس الذي باله إلى غيره.

---

(1) أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، المرجع السابق، ص 320.

الملاحق

يمكن حصر دور الأمير في الإحياء في موضوع الفخر الذي أعاد له الأمير متانة التركيب و مرونة الأسلوب ووضوحه، و قوة الجرس الموسيقي الفكري و رنينه، و انتخب له الكلمات التقليدية الملائمة لخدمة وظيفة الفكرة الإعلامية أو بمعنى آخر فقد ركز الأمير في إحياءه لموضوع الفخر على الأسلوب الذي يضاعف من الإفهام، و يوضح التعبير و يقوي المعنى و التأثير و حرص على توظيف الشارحات، و التقييد و الثنائيات، "التضاد و المقابلة"ليلائم منتخباته اللفظية مع ما يهدف إلى تبليغه للمقاتلين و أنصاره، و كذا الذي يريد تسويقه للمعارضين و أعدائه.

و ما لحضناه من قراءتنا لفخرياته، أنها تحمل أكثر من غيرها العناصر التقليدية الفاعلة في الدعاية السياسة،و العسكرية و الحرب النفسية نقصد ما وصلنا من القصائد التي واجه بها سياسة العدو و التضليلية، بقوالب مستهلة في مجمله، تمكن من إعادة صياغتها، و من حسن توظيفها في صور تقليدية تجسد قدرات جنده القتالية و شجاعة و إقدام أولئك الرجال الأشداء الأبطال، الذين زكت معظم أقلام قادة الاحتلال فاعليتهم في القتال.

ظاهرة التناص في شعره السياسي:

قد لا تخلوا أي قصيدة فخرية من تناص الأمير الايجابي، مع ما أنتجته قريحة فحول الشعر العربي و بخاصة الفرسان، الذين يتقاسمونه التجربة و الخبرة و الشجاعة،"منه قول المتنبي"

الخَيْلُ وَ اللَّيْلُ وَ البـــَيْدَاءُ تَعْرِفُـــــنِي وَ السَيْفُ وَ الرُمْحُ وَ القِرْطَاسُ وَ القَلَمُ(1)

(1) ديوان أبي الطيب في العرق الطيب، شرح: ناصف اليازجي، ط1، دار و مكتبة الهلال، بيروت، 1966، ص 96.

الذي حاول فيه الأمير إثراء ما استعاره من الصور الفخرية بالحذف و الإضافة و التوالد و باستفادة الذكية من تراث الأسلاف فقدم للقارئ صور فنية جديدة أشد صلة بالشعر الجاهلي، بالرغم من تناصها البين مع أمير العصر العباسي، و ذلك في قوله:

سَـــــلِي اللَّـــيْلُ عَـنِي شَقَقَتُ أَدِيـمَهُ عَلَى ضَـــامِرْ الجَنْبَيْنِ مُعْتَدِلُ عَـــالِـي

سَـلِي البَـــيْدَ عَنِي و المَفَاوِزَ وَ الرُبَى وَسَهْلًا وَ حُزْنَا كُـــمْ طَوَيْتُ بِتَرْحَـــالِي

فَـــمَا هِمَـــــتِي إلاَّ مَـــقَارَعَةُ الغَـدَا وَ هَزْمِـــــي لِأَبْطَالْ شِـــــدَادْ بِأَبْطَالِي (1)

مما يدفع بنا إلى القول بأنّ لتناص شعر الأمير قيمة فنية جديرة بالدراسة، لا تقل أهمية عن قيم الفخر التقليدي، التي يتميز بها تناص شعر الفحول بعامة، من أولئك الذين وظفوا القيم الفخرية التي يثمنها الجنس العربي- في تنشيطهم للحياة السياسية التقليدية. تلك القيم التي لا يمكن لأي شاعر فارس يماثل الأمير عبد القادر في التجربة أن يستغني عنها، لذا نجد الأمير يتسارع إلى إحياء هذه القيم الفاعلة في الحرب النفسية، و تفعيلها في المقاومة الشعبية تفعيلا سياسيا، تناص فيه مع أجود ما قيل في الفخريات السياسية التي تغنى بها فرسان البيان العربي في السلم و الحرب، مثل الشهامة و العرض، المروءة، و الشرف،و قيم الشجاعة و حنكة الخبرة.

وقد ركز الأمير في فخره السياسي بخاصة على توظيف قيم الشهامة و المروءة،لما تحمله من الصفات الأخلاقية الحميدة، التي تتقاسم القبائل العربية و البربرية شرف تقمصها، و تتباهى بخصالها، و تعز الشاعر الذي يتولى الفخر بمحامدها، و هي قيم وثيقة الصلة بالدعاية السياسية استثمرها الأمير في الفخر بمحامد فضيلة استغاثة المستضعفين و حمايتهم من ذلك قوله:

---

(1) ديوان الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص55.

إِذَا عَنْهَا تَوَافِي الغَيْرْ عَجْزًا فَنَحْنُ الرَاحِلُونَ لَهَا عِجَالُ

سِوَانَا لَيْسَ بِالمَقْصُودْ لَمَّا يُنَادِي المُسْتَغِيثَ أَلاَ تَعَالُوا

وَ لَفْظُ النَّاس لَيْسَ لَهُ مُسَمَى سِوَانَا وَ المُنَى مِنَا تَنَالُ (1)

أما الشجاعة فتقاسم فاعليتها بالتساوي مع أنصاره، في جمع خرجاته الإعلامية و سوّقها في صور فنية شديدة الصلة بالنظيرات التي تداولها غيره من فحول الشعر، كشف فيها بأنه لم يكن مقلدا مفلسا من اللغة الشعرية في تناصه، بل أظهر بأنه يملك القدرة الكافية على امتصاص الصور المستعارة و توليدها و يجيد مهارة شحنها بتجاربه الذاتية التي تكشفها جودة الصور الفخرية من حيث متانة تراكيبها و جزالة ألفاظها معانيها.

إجادة في البلاغة الشعرية تجعله يقترب من أسلوب أصحاب السيف و البيان، أمثال: أبي الطبيب، و عنترة العبسي، فتناص مع عناصرها بالحذف و الإضافة، تناص مكنه من توليد صور شعرية جديدة تعكس خبراته في الحرب النفسية، و تبرز عبقريته في تسويق صور حربية شديدة التأثير.

فإذا كانت الصور التي استعارها الأمير من عنترة العبسي تتميز بالسكون المعاني البسيطة، فإن نظيرتها شعر الأمير تتسم بالحركة و الحيوية، و تكشف رغبته في توليدها و تويلها إلى ملكية و تبرز فاعلية خياله في شحنها بحركة القدرة على نشر الرعب و الذعر في نفوس أفراد جيش الاحتلال و قادتهم، فِي قَوْلِهْ: أَمِيرُ إِذَا مَا كَانَ جَيشِي مُقْبِلاً وَ مَوقِدَ نَارِ الحَرْبِ إِذَا لَمْ يَكُنْ صَالِي:

(1) ديوان الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص42.

إذَا مَـــا لَقِـــيتَ الخَـــيْلَ إنِـــي لِأَوَلِ وَ إنْ جَـــالَ أَصْـحَابِي فَإنِـــي لَهَا تَالٍ

أُدَافِـــعُ عَنْهُمْ مَا يَخَافُـــونَ مِنْ رَدِى فَيَشْكُرُ كُلَ الخَلْقْ مِنْ حَـــسَنْ أَفْعَـــالِي

وَ أُوَرِدُ زَايَابَ الطَـــعَانْ صَحِـــيحَةً وَ أَصَـــدِرْهَا بِالرَمْـــيِ تِمْـثَالُ غُرْبَـالِ

وَ مِنْ عَادَةِ السَادَاتِ بِالجَـيْشِ تَحْـــمِي وَ بِـــي يَحْتَمِي جَيْشِي وَ تَحْرُسْ أَبْطَالِي (1)

و لقد كرر تناصه الايجابي في مجال تفعيل شجاعته، و توظيفها استجابته التلقائية لحماية الشرق الجزائري من وحشية الجيش الاحتلال الفرنسي، مما جعل النساء في نظره لا يثقن في غيره فيما يخص صيانة شرفهن، من ذلك قوله:

يَثِقْنَّ النِسَاءُ بِي حَيْثُ مَا كُنْتُ حَـاضِرًا وَأَحْـــمِي نِسَاءَ الحَـــيِ فِـــي يَوْمِ تَهْوَالِ

وَ أَخْـــشَى مَضِـــيقَ المَوْتِ لاَ مُنَهِيبًا وَ لاَ تَثِقْنَ فِي زَوْجِـــهَا ذَاتِ خُلْـــخَالٍ (2)

و في قصيدته المائية التي أرخ بها وقائع استلام مفاتيح مدينة تلمسان من الصور الفخرية السياسية، ما يؤكد جودة ثقافة تناصه النوعية، و ما يعكس صدق تجاربه الذاتية من ذلك قوله:

قَدْ انْفَصَـمَتْ مِـــنْ تِلِمْـسَانْ حِـــبَالَهَا وَ بَـــانَتْ وَ آلَتْ، لاَ يَحِـلُ عَـــــرَاهَا

سِوَى صَاحِبِ الإقْدَامِ فِي الرَأْيْ وَ الوَعْيْ وَ ذِي الغِيرَةِ الحَامِي العُدَاةْ حَمَاهَا...

وَنَادَتْ، أَعَـــبْدُ القَـادِرُ المُـنْقِذُ الذِي أَغَثَتْ أَنَـــــاسًا، مِـــنْ بِـــحَارْ هَـوَاهَا

(1) ديوان الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص53.
(2) المرجع نفسه، ص32.

لِأَنَكَ أَعْطَيْتَ المَفَاتِيحْ عِنْوَةٍ فَزِدْنِي أَيَا عَزَا الجَزَائِرْ جَاهًا (1)

وخلاصة ما لحظناه في فخر الأمير السياسي أنه يتميز بظاهرة استثمار الصور التقليدية الايجابية، و فيه كثير من العناصر التي تكشف عن تجاربه الثقافية، وخبراته الذاتية، وميوله النفسية، و منه ما يؤكد ريادته في إحياء موضوع الفخر،و ما يعكس كفاءته الحالية في الاستفادة من الامتصاص و توليد نصوص غيره، من أولئك الذين ماثلوه في التجربة و الخبرة.

لذلك نعتقد أن الأمير سبق شعراء عصره في إحياء الفخر السياسي، وطهره قبلهم من شوائب تعفن السنين العجاف، التي أفرزها سنون القحط الثقافي لفترة الجمود الفكري، و لنرى بأنه أظهر قدرة فنية في تحديث الصور الفخرية، و إخضاعها للتجربة الذاتية، و جعلها تتجاوب مع تسجيلات وقائع الأحداث السياسية و العسكرية، التي عاصرت مقاومة الاحتلال الدامية.

و نحن نرى أن ما ذكرناه من العناصر الايجابية لفخريات الأمير، يسمح بتأهيله إلى ريادة إحياء موضوع الفخر الموءود في عصره، و يمكنه من التربع على كرسي ريادة توظيفه في الإعلام السياسي المعاصر، و نعتقد بأنه لو توفر مناخ نقدي، ثقافي و إعلامي لشاعر مطبوع كالأمير، مثل الذي ظهر في ثنايا القرن العشرين، لاختلاف الوضع، و لاحتلت عبقريته الشعرية مكانة الصدارة التاريخية في الإحياء و التقليد و التطوير و لما لا في بعث التجديد.

---

(1) ديوان الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص313.

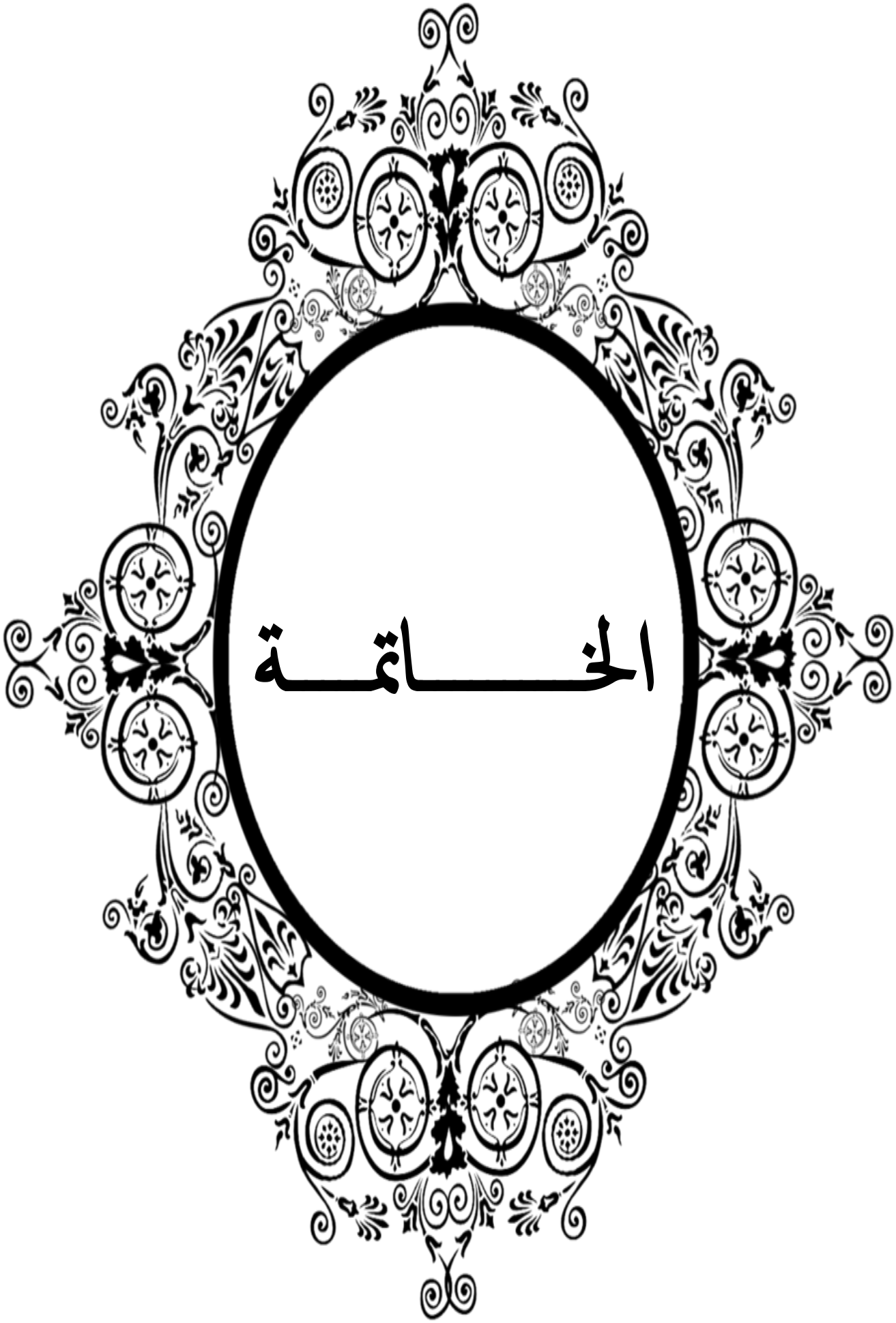
الخـــــاتمـــة

خاتمة:

نعتقد أن ما ظفرنا به نتائج موضوعية في مذكراتنا المتواضعة، قد لا يكشف إلاّ عن جزء اليسير من إنتاج الأمير الشاعر الثائر، ظهر في القرن التاسع عشر كشخصية جزائرية مميزة بعبقريته السياسية و العسكرية نادرة التكرار في السلالة الإنسانية.

مما دفع بالمهتمين بسيرته الذاتية إلى الاهتمام بالجانب العسكري، و السياسي، على حساب النشاط الثقافي، الذي وظفه الأمير في بعث ثقافة النضال القومي في كيان الأمة الجزائرية الحديثة، و من الباحثين من أهتم بمكانته الأدبية المعاصرة.

و نرى بأن ما في شعر الأمير من عناصر ايجابية تتجاوب جلها مع تنظيرات النقد الحديث من ذلك ايجابية ظاهرة التناص التي ميزت شعره، و كذا صدق التجربة الشعرية، و بخاصة الصور النفسية التي جسد فيها إحساسه بأسلوب التوافق بينما يحس به و ما يريد نقله إلى غيره، و هذا في اعتقادنا ليس بالأمر السهل إذا ما نظرنا إليه من زاوية ظروف عصر الذي هوى فيه الشعر إلى الدرك الأسفل، فلا من يحاول إحياءه و لا من يستطيع تقليد فحوله، ألا يكفي ذلك لتربع الأمير على كرسي بعث فجر النهضة الأدبية الحديثة؟

و نحن نرى بأن الأمير خطا بالقصائد العربية خطوات ايجابية في مجال إحياء اللغة الشعرية، كشف فيها عن محاولة تحديث البلاغة الشعرية، في مجال إحياء الصور الشعرية التي تغنى بها فحول الشعر العربي، و ذلك ما يجعلنا نعتقد بأن للأمير عبد القادر الحق في ريادة بعث الإحياء الشعري بعامة، و الوجداني بخاصة، و بهذا نظر بأن ما أنجزه الأمير في عصر الركاكة الشعرية لشيء عظيم فلا يمكن تجاوزه، أو إغفاله، و لا استصغاره أمام ما قام به نظراؤه من المقلدين أمثال البارودي، و حافظ إبراهيم و غيرهم.

فـــهرس المصادر
و المراجع

المصادر:

1) القرآن الكريم سورة الفتح آية 17.

2) معجم الوسيط.

المراجع:

الدواوين:

1) ديوان ابراهيم ناجي، دار العودة، بيروت 1980.

2) ديوان أبو الطيب في العرف الطيب، شرح ناصف اليازجي، مكتبة الهلال، بيروت، ط1966،1.

3) ديوان أبو القاسم الشابي، دار الكتب العلمية، بيوت، لبنان، ط4، 2005.

4) ديوان الشاعر الأمير عبد القادر، تحقيق: زكريا صيام، المؤسسة الجزائرية للطباعة، جزائر، 1986.

5) ديوان اللهب المقدس، مفدي زكريا، المؤسسة للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.

الكتب:

1) الأدب و فنون، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط8.

2) التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر في مصر، عدنان حسين قايم، المنشأة الشعبية للنشر و التوزيع، ط1 ،1981.

3) الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، يحي بوعزيز، دار الفكر، دمشق، ط2 ،1964.

4) الأمير عبد القادر الجزائري و أدبه، عبد الرزاق بن السبع، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

5) الأمير عبد القادر الجزائري و ثقافته و أثرها في أدبه، محمد السيد الوزير، مكتبة الملك فيصل الإسلامية، 1984.

6) البارودي رائد الشعر الحديث، شوقي ضيف، المعارف بمصر،ط2.

7) الحداثة في الشعر، يوسف الخال، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1978.

8) المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، نسيب نشاوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

9) تاريخ الأدب في المغرب العربي، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط1، 1996.

10) تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، محمد بن عبد القادر الجزائري، شرح و تعليق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، ط2، ج2.

11) حركات التجديد في الأدب العربي، جابر عصفور، دار الثقافة، مصر، 1975.

12) حياة الأمير عبد القادر، شارل هنري تشرشل، ترجمة و تعليق: أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1982.

13) شعراء الوطنية في مصر، عبد الرحمان الرافعي، دار المعارف بمصر، ط2، 1966.

14) في ذكرى الأمير، صالح خرفي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، جزائر، 1984.

15) مدارس الشعر الحديث، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الوفاء لدنيا، الإسكندرية، ط1، 2004.

الموقع الالكتروني:

http//almaqdam.malware-site-www

فـــهرس
المـــوضـــــوعات

فهرس الموضوعات:

البسملة .....

التشكرت .....

الإهداء .....

المقدمة ..... **أ - ب**

المدخل **03**

I. الفصل الأول: الأحياء الشعري في المشرق و المغرب **10**

1) المبحث الأول: التعريف بالإحياء و الاحياء الشعري **11**

- المطلب الأول: مفهوم الإحياء لغتا و اصطلاحا **11**
- المطلب الثاني: تعريف الإحياء الشعري **14**

2) المبحث الثاني: المدرسة الاحيائية و أهم روادها **16**

- المطلب الأول: التعريف بالمدرسة الاحيائية **16**
- المطلب الثاني: اهم رواد حركة البعث و الاحياء..... **19**
- المطلب الثالث: خصائص مدرسة البعث و الاحياء **24**

3) المبحث الثالث: التجديد الشعري قي المشرق المغرب العربي **26**

- المطلب الأول: التجديد الشعري في المشرق **26**
- المطلب الثاني: التجديد الشعري في المغرب **28**

II. الفصل الثاني: الأمير عبد القادر الجزائري **32**

1) المبحث الأول: الأمير عبد القادر حياته و ثقافته **33**

- المطلب الأول: أصله، مولده، و نشأته..... **33**
- المطلب الثاني: إمارة الأمير عبد القادر..... **37**

2) المبحث الثاني: استراتيجية الأمير عبد القادر في بناء الدولة..... **40**

- المطلب الأول: دولة الأمير الوطنية و تنظيم الجيش..... 40
- المطلب الثاني: جهاد الامير عبد القادر و حروبه..... 44
- المطلب الثالث: الأمير في المنفى و وفاته..... 47

3) المبحث الثالث: الامير عبد القادر و شعاره..... 49

- المطلب الأول: موقف الأمير عبد القادر من الشعر..... 49
- المطلب الثاني: أهم الأغراض الشعرية في ديوانه..... 51
- المطلب الثالث: خصائص شعره العامة..... 56

الملحق..... 58

الخاتمة..... 64

فهرس المصادر و المراجع 66